



النظام الداخلي لحركة (إخوان الصفاء)

خير الله رشك سعيد

الموسم

إن أي حركة سياسية إذا أرادت أن تحقق وجودها الفعلي على الساحة السياسية والفكرية يجب أن تنظر إلى ميزان قوتها، وثقله الفعلي، ومن ثم تجد لنفسها قواعد عمل تمكنها من الاستمرارية والبقاء، فكل حركة سياسية غير قادرة على تنفيذ برامجها السياسية، دون ضابط، أو ناظم يوحد كل الجهود والطاقات كي تصب في طاحونة الحركة، لخدمة أهدافها وحيث أن تطور الحركة الإسماعيلية، ووجود، هيئة أركانها - الإخوان، قد استفادت من الحركات السياسية، السرية وغيرها، فبالضرورة، لحركة سياسية، كهذه أن تجد ما يوحد نشاط أعضائها، وفق ترتيب معين، يجعل مراقبة الفعل السياسي منضبطاً وموجهاً وفق تلك - الإستراتيجية التي صاغوها في رسائلهم - لاسيما، الجامعة، منها ومن ثم تطلب وجود، التكتيك، في الحركة، وجود كادر مستوعب للبرنامج السياسي، الواضح المعالم في، رسائل إخوان الصفاء، فلنفرض أن يكون هناك توافقاً منهجياً، في البعد السياسي. تطلب وجود، نظام داخلي، يوجه ويراقب سير العملية التنظيمية، ضمن شروط سريتها وعلانيتها، وفق ظروف الحركة التي تمر بها، وهو ما تطلب من هيئة الأركان تلك، أن تصوغ المبادئ الأولية للحركة وفق ما ندعوه اليوم، بالمفهوم المعاصر بالنظام الداخلي، وأهمية النظام الداخلي للحركة في تلك الفترة، كان ذا بُعد خطر وهام جداً، فهو ترافق بشكله التكتيكي، مع منظور الحركة الاستراتيجي، وكان العمل به واعياً دقيقاً، إذ تدرج بالدعوة من مرحلة إلى مرحلة، وجعلت لكل مرحلة أسلوباً خاصاً يتناسب مع مستوى المدعو بدأت، الرسائل، بمرحلة المداورة والمناورة في التعامل مع المدعويين (الكسب) الذين هم في المرتبة الدنيا من استيعاب الدعوة، حذرة معهم كل الحذر، آخذة في الحسبان كل ما هو متكون لديهم من معتقدات موروثية، ومن مرتكزات مذهبية وأيديولوجية اكتسبوها من طبيعة نظام الحكم الاستبدادي السائدة، وطبيعة العلاقات الاجتماعية المسيطرة ومن آثار تجهيل (العامية) وعزلها عن حركة التطور الثقافي التي كانت في أوج نشاطها حينذاك وإن وعي (الجماعة) لهذا الواقع حملهم على تضمين عملهم البرنامجي شبه (نظام داخلي تنظيمي) كما يقول مروة^(١)، يقضي أول كل شيء باختيار فئة الشبان للحلقات الأولى من التنظيم فهم يقولون في صدور تأكيدهم على (الباب الأول) لنظامهم الداخلي:

وأعلم أن قوة نفوس إخواننا في هذا الأمر الذي نشير إليه ونحث عليه على أربع مراتب: أولها صفاء جوهر نفوسهم، وجودة القبول، وسرعة التصور، وهي مرتبة أرباب ذوي الصنایع^(١) وهم هنا يعتبرون تلك المرحلة، مرحلة مميزة لمعاني المحسومات الواردة على القوة الناطقة بعد خمسة عشر سنة من مولد الجسد وهم ينطلقون بهذا التحديد من قوله: (إذا بلغ الأطفال ملكهم الحلم.. وينطلقون عليهم إخواننا الأبرار والرحماء)^(٢).

إذن هنا حددوا سن القبول في جمعيتهم بخمسة عشر سنة وأطلقوا عليهم تسمية (حزبية) هو نعت الإخوان الأبرار والرحماء ويسري هذا النعت حتى على ثلاثين سنة منهم.

وفي هذا الباب ولنسميه (باب الترشيح والكسب) كانوا قد انتفتوا إلى ناحية هامة وخطرة، لازالت تفرض وجودها على الحياة المعاصرة، بمختلف نواحيها عنيت ظاهرة الشباب لذلك ركزوا الجهد عليها في بادئ أمرهم، وأوصوا كل كوادهم على هذه الفئة من الناس فهم طاقة خلاقة، فاعلة، مغيرة، متقبلة لجديد الحياة، ومنهم العلوم لذلك أشاروا في مقدمة هذا الباب بقولهم: (واعلم أيها الأخ أن من سعادتك أيضاً أن يتوفر لك معلم ذكي، جيد الطبع، حسن الخلق، صافي الذهن، محب للعلم، طالب للحق، غير متعصب لرأي من المذاهب.

وأعلم أن أفكار النفوس، قبل أن يحصل فيها (علم من العلوم) واعتقاد من الآراء، كمثّل ورق أبيض نقي لم يكتب فيه شيء^(٣).

فهذا التأكيد كان يرمي إلى الإحاطة الشاملة بعقول الشباب والصبر على ترويضهم بالعلوم، وعدم ضياع الوقت مع المشايخ لأنهم عثرة في طريق عملهم فرفد الحركة الدائم بعنصر الشباب، يعني الحفاظ على ديناميكية الحركة السياسية فهم يقولون: فإذا كان الأمر كما وصفت، فينبغي لك أيها الأخ أن لا تشغل بإصلاح المشايخ الهرمة، الذين اعتقدوا من الصبا آراء فاسدة، وعادات رديئة، وأخلاق وحشة، ولكن عليم بالشباب السامي الصدور، الراغبين في الآداب، المبتدئين بالنظر في العلوم، المريدين طريق الحق والدار الآخرة، والمؤمنين بيوم الحساب، المستعملين شرائع الأنبياء عليهم السلام الباحثين عن أسرار كتبهم، التاركين الهوى والجدل، غير متعصبين على المذاهب^(٤).

إن هذا الإدراك لطبيعة التناقض بين جيلين معاصرين، شيوخ وشباب، يؤكد فهمهم العلمي لطبيعة المرحلة التي يعيشونها ويخوضون غمارها الأيديولوجي لذلك أكدوا على إعطاء الريادة في الكسب والتقديم لعنصر الشباب في حركتهم السياسية، فالمسؤولية في تحصيل الأعباء، مرهونة بالشباب أكثر من الشيوخ، استناداً على الخبرة التاريخية في ذلك لديهم فهم يؤكدون.. وأعلم أن الله تعالى ما بعث نبياً إلا وهو شاب ولا أعطى لعبد حكمة إلا وهو شاب كما ذكرهم

(١) انظر الرسالة الثانية ج ١/ص ٦٢-٦٣ الطبعة المصرية

(٢) الرسالة ٤٥ الرابعة من العلوم الناموسية والشرعية ١١٩/٤

(٣) المرجع السابق ١١٤/٤

(٤) المرجع ذاته

ومدحهم فقال عز اسمه: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ وقال تعالى: ﴿إنا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾ وقال أيضاً: ﴿وقال موسى لفتاه...﴾
واعلم أن كل نبي بعثه الله فأول من كذبه مشايخ قومه^(١).

أما المرتبة الثانية في تقسيمهم التنظيمي فهي ما أطلقوا عليها مرتبة الرؤساء ذوي السياسات وهي التي تعني الكادر الوسطي وهي تحدد وفق مهماتها بمراعاة الإخوان وسخاء النفس، وإعطاء الفيض، والشفقة والرحمة، والتحنن على الإخوان، وهي القوة الحكيمة الواردة على القوة العاقلة بعد ثلاثين سنة من مولد الجسد^(٢) وهذا التقسيم استمدوه من قوله: ﴿فلما بلغ أشده واستوى أتيناها حكماً وعلماً﴾ ويسمون هذه الفئة وفق الاصطلاح الحزبي (الإخوان الأخيار والفضلاء) وتتحدد أعمارهم بين ٣٠-٤٠ سنة^(٣).

والمرتبة هذه وفق شروطها الزمنية من ناحيتي العمر وسنن الالتزام تؤكد مدى معرفة الإخوان لمعنى التجربة المكتسبة من خلال العمل فالحكمة إحدى الخبرات الهامة في التنظيم الذي اكتسبها هذا الكادر الوسطي وهي صمام أمان للعمل الحزبي بحيث تخلق النموذج كمثال وتخلق ظلها كاحتياط في عملية الفيض أي نقل التجربة من الكادر المتقدم -في أي موقع- إلى الذي يشرف عليه ذات الكادر نفسه، ولنسميها (أعداد الملاكات) ضمن التجربة السياسية الحزبية.
فليس عبثاً أن يختاروا لهم اسم (الأخيار والفضلاء) فالتسمية تشير بمدلولها اللغوي إلى عملية انتقاء وتفضيل، وهذا الموقع لم يأت عبثاً بل هو درجة حزبية أوجدتها ظروف العمل السري واستحقها الكادر القادر على تنفيذ مهام الحركة في ظروف النشأة والإعداد لجمعية إخوان الصفاء.

أما المرتبة الثالثة فهي التي يطلقون عليها كناية (مرتبة الملوك ذي السلطان) والتسمية هنا كناية ليس إلا بتعبير مجازي، خضعت بتقديرنا إلى بعدين: الأول أرادوا به تأسيس نظري لمنظورهم الإيديولوجي وفق تراتبية سياسية، بأن يكون صاحب هذه الدرجة الحزبية ذو قوة عقلية متميزة تؤهله لأخذ وضع القرار وفق شرطه التاريخي، وبناء على مقتضيات لحظته الآنية، ومن موقع مسؤوليته ويجب أن لا ننسى هنا بأنهم كانوا ينظرون بعين مستقبلية لبناء (مدينة فاضلة لهم) أما البعد الثاني في التسمية فهو ما كانوا يرمزون إليه، تحت يافطة السياسة، كون الملك -السلطان- يجب أن يكون وفق هذه المواصفات التي يرتأونها واجبة الوجود في السلطة السياسية فهم يقولون: مرتبة الملوك ذوي السلطان والأمر والنهي والنصر والقيام بدفع العناء والخلاف

(١) المرجع السابق ١١٥/٤

(٢) ذات المرجع ١١٩/٤

(٣) يقع د. عمر دسوقي (إخوان الصفا) بخطأ قد يكون شائع في وقته -وهو تصنيفه لهم بطبقات وهو ما لا يتفق ولغة النص الوارد برسائلهم من جهة ولا يتماشى مع روح الإصلاح المعاصرة المدلول الاقتصادي أصلاً من جهة ثانية انظر ص ٧٥ من الكتاب المذكور

عند ظهور المخالف لهذا الأمر بالرفق واللطف والدارة في إصلاحه^(١).

وهذه المرتبة تؤهل صاحبها لهذا القرار وتعطيه الصلاحية لسن أعراف يمكن الاهتداء بها في ظلال السلطة التي يتمتع بها، وهي ما سموها بالقوة الناموسية الواردة بعد تولد الجسد بأربعين سنة^(٢) فالشرط القانوني أن نصلح عليه وفق مسميات عصرنا السياسية بعضو قيادي وقد اشتق الإخوان هذه التسمية من القرآن حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال: ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ﴾.

ووسم الإخوان كوادره هذه المرتبة بالإخوان الفضلاء الكرام^(٣) والعمر القانوني لهذه الدرجة يتراوح بين ٤٠-٥٠ سنة^(٤).

وضمن هذه الدرجة يكون الكادر قد استوعب تماماً نظريته السياسية وفهم بدقة، موجبات العمر التنظيمي وبذا نستطيع أن نسمي تلك المرتبة في تنظيمهم باباب الكادر المتقدم وفي التسميات السياسية الحديثة فهم فضلاء بما أعطوا من حياتهم من جهد للحركة وكرام بما استحقوا مما أعطوه لحركتهم ذاتها، فالتسمية تشمل العلاقة الجدلية بين الكادر ومنظمته وفق سياق الوحدة التنظيمية في الكيان السياسي.

وأما المرتبة الرابعة فهي مرتبة من يعرفون (ملكوت السماء) وهي التي ندعو إليها إخواننا كلهم في أي مرتبة كانوا وهي التسليم وقبول التأييد ومشاهدة الحق عياناً وهي قوة الملكية الواردة بعد خمسين سنة من مولد الجسد، وهي الممهدة للمعاد والمفارقة للهيولي وعليها تنزل قوة المعراج وبها تصعد إلى ملكوت السماء، فتشاهد أحوال القيامة من البعث والنشر والحشر والحساب والميزان والجواز على الصراط والنجاة من النيران ومجاورة الرحمن ذي الجلال والإكرام^(٥).

وهذه الرتبة أو الدرجة يستقون معناها من الآية: ﴿يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي في جنتي﴾.

هذه المرتبة نستطيع أن نطلق عليها وفق تسلسلها الحزبي لديهم درجة الحكمة والنبوة أو ما يوازيها -إن جاز التعبير- مكتب سياسي في التعبير المعاصر للحركات السياسية.

فهذه المرتبة تشترط على عضوها أن يكون قد تجاوز الخمسين سنة بعد أن يكون قد مر بكل المراحل التنظيمية الثلاث الأتفة الذكر فلا يصح تقديم الكادر جزافاً عندهم فموجبات التنظيم تسترعي الانتباه والدقة والحيلة والحذر لهذا الموقع الخطر الذي قد يصل إليه عنصر غير أمين

(١) المرجع السابق ١١٩/٤

(٢) نفس المرجع

(٣) المرجع ذاته

(٤) يسميها د. حسين مروة مرتبة البالغين انظر هامش ٤٦ على الصفات ٣٧١-٣٧٢ الجزء الثاني النزعات المادية

(٥) المرجع السابق ١٢٠/٤

ولا كفاء لمهمات التنظيم وبعد النظرية الإيديولوجي، فهم عندهم بمثابة النبي أو مجاريه، فهو تنزل عليه قوة المعراج وتلك صفة نبوية مثالية تخضع لشروط صارمة جداً، نادراً ما تجد من يمثلها أو تتكون فيه الصفات المطلوبة فجسامة المسؤولية تعادل خطر الموقع الذي يتبوأه هذا العضو الحكيم فهمك قد أشاروا بصفات هذا الكادر المحتل لهذا الموقع بصفات الأنبياء والفلاسفة بقولهم وإليها أشار إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وأجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ كذلك أشار النبي يوسف والنبي عيسى المسيح^(١) وكذلك يشيرون إليه بقول النبي محمد (إنكم تردون على الحوض غداً)^(٢) وإليها أشار سقراط الحكيم بقوله يوم سقي السم: (إني وإن كنت أفارقكم إخواناً فضلاء فإني ذاهب إلى إخوان كان قد تقدمونا) وإليها أشار فيثاغورث في الرسالة الذهبية في آخرها.

«إنك إذا فعلت ما أوصيك عند مفارقة الجسد، تبقى في الهوى غير عائد إلى الأنسية ولا قابل للموت»^(٣) لمعنى آخر الملائمة وإليها أشار بلوهر ليو زاسف حين قال الملك لوزيريه وكان من أهل هذه المقالة: «قل لي من أنت؟ فقال من الذين يعرفون ملكوت السماء»^(٤) ثم يؤكدون على هذه الدرجة بقولهم: وإليها ندعو نحن إخواننا جميعاً.

وهنا يتوضح الهدف السياسي الاجتماعي، فترية الكادر وإعداده يجب أن يصب في هذا التعبير الاستراتيجي بهذه المرتبة حتى يمهّدوا في كادرهم هذا وهم يسعون إلى بلوغه في تلك المواصفات والتي أطلقوها بصفة شعارات سياسية، متضمنة الحكمة والإيثار والسمو بالنفس إلى مرحلة الملائكة، هذا التصور الخيالي يخفي وراءه نزعة مغرقة في الإنسانية رغم ما يجلبها من رداء صوفي ولكنها خطيرة أشرت بمسماياتها على تلك الفترة من التاريخ العربي الإسلامي. إن الخطة التكتيكية التي تعاملوا بها مع كوادهم وجهودهم تقضي بتقديم المعارف الأولية إليهم عن شؤون الدعوة وهي المعارف التي تستثير في أذهانهم الشكوك فيما يكون قد وصل إليهم من معتقدات دينية أو مذهبية أو من أصول أيديولوجية رسمية ثم تستثير في الوقت نفسه فضولاً معرفياً عندهم للاطلاع على مت هو أبعد من تلك المعارف الأولية عن شؤون الدعوة وهكذا تندرج أساليب التعليم متصاعدة مرحلة مرحلة، مع تصاعد مراحل العمر بالدعويين حتى تبلغ معهم مرحلة ما بعد الخمسين من أعمارهم فيحق لهم حينذاك بلوغ المرتبة الرابعة وهي العليا فيرتفع الحذر ويصبح التعليم صريحاً معهم ويمكنهم الاطلاع على أسرار المنظمة كاملة^(٥).

أما زعيم التنظيم لديهم فهو الإمام وهو يمثل ذروة التطور العقلي وحاولي لجميع الخير ومن يصل إلى هذه المرتبة صار عندهم بمثابة العقل الذي يحتكم إليه، إضافة إلى ضرورة أن

(١) نفس المرجع

(٢) ذات المرجع

(٣) المرجع السابق ١٢٠/٤

(٤) المرجع ذاته

(٥) النزعات المادية ٣/٣٧٢

يكون ذو منطق عقلي فلسفي علمي قويم، تتفق أقوله مع أفعاله فلا يحس التناقض في أقاويله ويؤخذ عليه فالضرورة لديهم هي عدم تناقض الحكم مع العقل^(١) وتشبيه الإخوان من يصل لهذه المرتبة بالعقل إنما يؤكد أنهم يقصدون الإمام لأن العقل في فلسفتهم هو الرئيس الواحد وهو إمام عادل من خلفاء الأنبياء.

وإن مرتبته هي مرتبة النبوة والناموسية لأن أهل هذه المرتبة هم القائمون بأمور النواميس وهم الراسخون في العلم وأولياء الله المخلصون وهذه الصفات لا تطلق في المصطلحات الإسماعيلية إلا على مرتبة الإمام^(٢).

شروط القبول والعضوية

ليس على كل من اطلع على رسائلهم قبلوه بين صفوفهم وليس كل من آمن بتلك الرسائل حووه، فسياق حركتهم السياسية وسريتها المطلقة فرضت نظاماً صارماً للقبول بغية المحافظة على كيانهم السياسي وعدم فتح ثغرة في صفوفهم يستطيع الأعداء منها التنفيذ على تشكيلاتهم الحزبية، لذلك أقتلوا باب الترشيح في وجه الكثير من الذين لا تنطبق عليهم الشروط التي يرتؤونها في المرشح فهم يراقبون الناس عن كثب لاسيما من خلال السياسة الذاتية لكل فرد وهي التي تعني لديهم معرفة كل إنسان نفسه وأخلاقه وتفقد أفعاله وأقاويله في حال شهواته وغضبه ورضاه في جميع أموره^(٣).

وضمن هذه النظرة النموذجية الموجودة أساساً لدى الفرد العادي يفرضون شروطهم الأخرى على المرشح زيادة في الاحتياط وتوخياً للدقة ونمذجة في الاختيار وأهم هذه الشروط هي ما وضعته رسائلهم بالقول: وينبغي لإخواننا أيدهم الله، حيث كانوا في البلاد إذا أراد أحدهم أن يتخذ صديقاً أو أخاً مستأنفاً أن يعتبر أحواله ويتعرف أخباره ويجرب أخلاقه ويسأل عن مذهبه واعتقاده، ليعلم هل يصلح للصداقة وصفاء المودة وحقيقة الإخوة أم لا.

لأن في الناس أقواماً طبائعهم متغايرة خارجة عن الاعتدال وعاداتهم رديئة مفسدة ومذاهبهم مختلفة جائرة فمنهم خير وشرير، وكفور وشكور، وذو أمانة وغدار، وحليم وسفيه، وسخي وبخيل، وشجاع وجبان، وحسود وودود، وفاجر وعفيف، وجزوع وصبور، وشره وقنوع، وسلس وشرس، وفظ وغليظ، ولطيف ورقيق، وعافل وأحمق، وعالم وجاهل، ومحب ومبغض، وموافق ومخالف، ومنافق ومخلص، وناصح وغاش، ومتكبر ومتواضع، وعدو وصديق، ومؤمن وزنديق، وعارف ومنكر، ومقبل ومدبر، وما شاكل هذه الأخلاق المحمودة والمذمومة مضادات بعضها لبعض^(٤).

(١) الرسالة ١٣ - الرابعة من المنطقيات ٣٤١/١

(٢) د. حجاب - الفلاسفة السياسية عند إخوان الصفا - ص ١٢٧

(٣) الرسالة السابعة وهي أيضاً السابعة من القسم الرياضي ٢٠٩/١

(٤) الرسالة ٤٥ - الرسائل ١٠٧/٤

هذا النص يوضح أماننا البدء بعملية اختيار المرشح من كل الوجوه يتعرف أحواله وأخباره، هنا ظهر البعد الاجتماعي أولاً لأن الهدف السياسي لم ينبثق تماماً والوجهة الاجتماعية التي يريدون خلقها، ثم ينظر مذهباً واعتقاده بأي اتجاه هو يسير وما هو اعتقاده الروحي وهذه تدون فترة طويلة يخضع فيها المرشح لفترة اختبار دقيقة من قبل الشخص المعني به، ومن ثم يقرر هل يصلح للصداقة وصفاء المودة وحقيقة الأخوة أم لا هذا القرار يعني تحمل المسؤولية في تقديم المرشح أو ما نطلق عليه بالعرف السياسي (التركية) وقد بينوا في النص أعلاه ما هي صفات الناس وطبائعهم فمن يمتلك الصفات الإيجابية خضع لاختبار صداقتهم أولاً، فمن الناس من هو مطبوع على خلق واحد أو عدة من أخلاق محمودة ومذمومة وأن العادات الرديئة تقوي الأخلاق الرديئة فمثل هذا يجتنب والعادات الجميلة تقوي الأخلاق المحمودة^(١) وصاحب هذه الطباع أولى بالكسب والترشيح وليس ذلك فقط بل هناك شروطاً أخرى ينبغي مراعاتها وأخذها بعين الاعتبار في الشخص المرشح يجري، ويطبّقها المرشح هي: ينبغي لك إذا أردت أن تتخذ صديقاً أو أماً أن تنتقده، كما تنتقد كالدراهم والدنانير، والأرضين الطيبة التربة للزرع والفرس، وكما ينتقد أبناء الدنيا أمر التزويج وشري الممالك والأمثلة التي يشترونها^(٢) انظر هنا كلمة تنتقده فهي بمعناها هنا جاءت لتدل على تلامس مباشر، بشكل قوي مع حاسة اللمس، واثقة قوية، دقيقة، صادقة الحكم، لمسة مكتشفة للمعدن المفقود، أي معرفة دقيقة، جداً بتركيبه هذا المعدن المكسب للحركة، لأنه مستقبلاً سيمنح اسم الحركة عضو جمعية إخوان الصفا.. فإذا لم يكن معدنه يتفق وجوهر معدن هذه الحركة، فإنه سيشوه تلك الجواهر وبالتالي يعود عيها بالضرر، لذلك لابد من كشفه في أول مرحلة وقبل الدخول إلى نظام الحركة.

ثم إنهم ربطوا عملية الكسب إلى حركتهم بظواهر الحياة الاجتماعية القائمة في زمانهم من زواج، وشراء مملوك وأمتعة، وهو ما يتطلب الدقة في الانتقاء، فليس من السهل اقتران الإنسان بزوجة دون معرفة مسبقة بسجايا وخصال تلك الزوج فالمكسوب المعد للترشيح عملية صعبة ودقيقة تقتضيها ظروف مرحلة الحركة وسريتها، لأن المسألة ليست مسألة كم ترفع به عداد تنظيمك بل المسألة مسألة نوع تفرض به نفوذ تنظيمك^(٣) وتجعل من أفكاره قوة فاعلة، مادية، تؤثر بسير التفاعلات الاجتماعية وهو ما انتبه إليه إخوان الصفاء فقد حددوا هذا الأمر وخطورته بما يلي:

واعلم أن الخطب في اتخاذ الإخوان -الاعتقاد هنا- أجل وأعظم خطراً من هذه كلها، لأن إخوان الصديق هم الأعوان على أمور الدين والدنيا، وهم أعز من الكبريت الأحمر^(٤) وإذا وجدت

(١) نفس المصدر

(٢) نفس المصدر ١٠٨/٤

(٣) في كراس القواعد اللينينية لحياة الحزب الدانخلية توضح آراء لينين كيف يعادل العضو الواعي المنة من الناس العاديين.

(٤) الكبريت الأحمر كان المادة الأساسية في عصرهم لإجراء التفاعلات الكيماوية في صناعة الذهب.

منهم واحداً فتمسك به فإنه قرّة العين ونعيم الدنيا وسعادة الآخرة، لأن إخوان الصدق نصرّة على دفع الأعداء وزين عند الأخلاء وأركان يعتمد عليهم عند الشدائد والبلوى وظهر يستند إليهم عند المكاره في السراء والضراء وكنز منخور ليوم الحاجة وجناح خافض عند المهمات، وسلم للصعود إلى المعالي، ووسيلة إلى القلوب عند طلب الشفاعات، وحصن حصين يلتجأ إليه يوم الروع والفرع، فإن غبت حفظوك وإن تضعضعت عضدوك، وإن رأوا عدواً لك قمعوه، الواحد منهم كالشجرة المباركة تدلت أغصانها بثمرها وأظلتك أوراقك بطيب رائحتها وسترتك بجميل فيئها، فإن ذكرتك أعانك وإن نسيت ذكرك، يأمرك بالبر ويسبقك إليه، ويرغبك في الخير ويبادرك إليه، ويدلك عليه ويبذل ماله ونفسه دونك^(١).

إذن هنا حدّدوا صفة هامة جداً في العضو المرشح ألا وهي الصدق وهي شرط أساسي يتمتع به العضو المرشح والعضو العامل، أو الكادر وهذا الشرط بتقديره خضع لمهمات وظروف المرحلة في عصرهم فالسجاياء والصفات يذكرونها في النص كما تشير إلى هؤلاء إخوان الصدق، فالصدق هنا هو صدق الإيمان بالعقيدة التي اختطوها من الإيديولوجية الإسلامية ذاتها فالصادق مع ذاته صادق مع عقيدته، وهذا يتطلب موقفاً إيديولوجياً صحيحاً، يمليه عليه الالتزام، والصادق هذا ركن معتمد عليه في المد والجزر لسير الحركة وتطورها التنظيمي في مختلف المراحل، فالصدق مبدأية هنا، يتعامل فيه وهو شرط أساسي في قبول الأعضاء وصفة عامة لا يستغني عنها المرشح لعضويتهم، ثم إن وصيتهم الشرطية إذا وجدت.. أحداً منهم أولية ثقّتك وتمسك به لأنه لا يخشى عليه ولا منه، فهو قرّة العين وبمعنى سياسي معاصر، حدقة عين الحزب وهو نصرّة على الأعداء، وجناح خافض عند المهمات..

أي إنه ينطلق من صدقه مطبقاً مبدأ الطاعة الواعية في الالتزام وهذه الطاعة تملّيها عليه إرادته الواعية المنبثقة من الالتزام نفسه وصدق هذا الالتزام الذي آمن، فلا تناقض في نظريته بين المبادئ والتطبيق على الصعيد العملي، وهذا أحد شروط ديمومة الحركة.

وعلى ضوء هذا المبدأ (الصرف) أقروا عدة توصيات شكلت رافداً يسيّر قواعد العمل تلك، بغية خلق روح تعاونية جماعية، تؤدي بالنهاية إلى استقامة العمل من خلال تأدية المهمات الحزبية، إضافة إلى خلق روح التعاون والتسامح وتجاوز الأخطار الناتجة من طبيعة العمل، والتعامل المتبادل وفق حرص المجتمع على تطور العمل وديمومته، من جهة، ومن جهة أخرى أخذ بيد المخطئ في سياق العمل وتربيته بروح التسامي من منطلق التسامي ذاته، لأن هذا التسامي يخلق المبادرة الإيجابية في روح التعاون داخل الهيئة الواحدة ومن ثم داخل روح التنظيم بأكمله والتوصيات تلك جاءت على النحو التالي: فإذا أسعدك الله بمن هذه صفته، فابذل له نفسك ومالك، وقرّ عرضه بعرضك، وافرش له جناحك وأودعه شرك، وشاوره في أمرك، وداو برويته

عينك، واجعل انسك إذا غاب عنك ذكره والفكر في أمره، وإن هفا هفوة فاغفر له، وإن زل زلة فصغرها عنده، ولا توحشه فيخاف من حقدك، وإذكر من سالف إحسانه عند إساءته ليأنس بك، ويأمن غائلتك، فإن ذلك أسلم لوده وأدوم لإخائه^(١).

وإخوان الصفا لا يؤكدون فقط على مبدأ الصدق في تعاملهم التنظيمي، بل يلجؤون إلى الشك أحياناً بغية استجلاء الأمر من الداخل في الشخصية المكسوبة والمعدة أو المهياة للترشيح حتى لا يقعوا في شرط الاندساس وهم بهذا -لعمري- قد استحقوا مبدأ الريادة على كل الحركات المعاصرة لهم واللاحقة بهم، أو المعاصرة لأننا الحالي، لولا ذلك لما استحقوا أن يتخلدوا على مر العصور.

فتوصياتهم تلك بثوها بين رسائلهم حدوداً لها... فصول صغيرة، أو ما يعرف اليوم (بالنشرات الداخلية) آخذين بعين الاعتبار سهولة تناولها، وتناقلها على الأعضاء والكوادر وهم في لجة التنظيم السري، ويتقديروا، إن لجوءهم لهذا الأسلوب هو لسهولة الرجوع إليه في حالة التثقيف من جهة تطبيق لمبدأ أمني من جهة ثانية إضافة إلى خصوصيته التنظيمية من جهة ثالثة، وهذه الفصول أو النشرات، جاءت صغيرة ومسبوكة وبلغة عالية محفزة، تعلق بالذهن مفرداتها، فهي جاءت بصيغة إلزامية أمرية، نابعة من خطورة الموقف، في هذا الشأن فاسمع ما يقولون واعلم يا أخي أن من الناس من لا يصلح للصداقة والأخوة المقاربة أصلاً البتة، فانظر من تصحب وتعاشر، ولا تغتر بظاهر الأمور من غير معرفة بواطنها، ولا بحلاوة العاجل من قبل النظر في مرارة عاقبتها، فإذا أردت اتخاذ أخ أو صديق فاعتبر أولاً أحواله، واختبر أخلاقه، وسله عن مذهبه واعتقاده، وانظر في عاداته وسجيته وشمائله وحركاته، فإنه لا يخفى على المتفرس بواطن الأمور إذا نظر إلى ظاهرها^(٢).

انظر إلى آخر جملة كيف يوجهون أعضاءهم إلى النظر بعمق فلسفي للكشف عن الظواهر الباطنية من خلال ظواهرها الظاهرة ثم يضيفون شك آخر، بغية التيقن من أمر يريدونه، منطلقين من السلوك اليومي للناس قائلين: واعلم بأن من الناس من يتشكل بشكل الصديق، ويدلس عليك بشبه الموافق، ويظهر لك المحبة، وخلافها في صدره وضميره، فلا تغتر أو تتيقن^(٣) وليس ذلك فحسب، بل يلجؤون إلى مسألة أخرى، هامة في العمل التنظيمي-السياسي، ألا وهي: اتخاذ مناهج علم النفس على الواقع التنظيمي، وربط ذلك بأخلاقهم وعاداتهم التي جبلوا عليها، حيطة في الأمر، وإجراء أولي للاحتراز كي لا يؤخذوا بغتة من ناحية أخرى الحفاظ على نوعية الكادر والتنظيم من ورائه، لأنهم معرضون إلى القدح والذم من قبل أعدائهم السلفيين، والسياسيين والملل الأخرى لذلك أوصلوا قواعدهم بأن تطبيق هذه المبادئ على تنظيماتهم، وعدم

(١) المرجع السابق ١٠٨/٤-١٠٩

(٢) المرجع السابق ١٠٩/٤

(٣) نفس المرجع

الإخلال بها فقد أوصوا: «والعن أن أعمال الناس في ظاهر أمورهم تكون بحسب أخلاقهم التي طبعوا عليها، وبحسب عاداتهم التي نشأوا عليها، أو بحسب آرائهم التي اعتقدوها، فإذا رأيت الرجل معجباً صلفاً أو نكداً لجوجاً، أو فظاً غليظاً، أو مباحكاً ممارياً، أو حسوداً حقوداً، أو منافقاً مائياً، أو بخيلاً شحيحاً، أو جباناً مهيناً، أو مكاراً غداراً، أو متكبراً جباراً، أو حريصاً شرهاً، أو كان محباً للمدح والثناء أكثر مما يستحق أو كان مزرياً لنظرائه، أو كان مستحقراً لأقرانه والناس، ذاماً لهم، أو متكلاً على حوله وقوته فاعلم أنه لا يصلح للصدقة وصفوة الأخوة لأن هذه الأخلاق والآراء والعادات مفسدة لا اعتقاده، وإخوانه وذلك أن من يختر المطالبة بما يجب له لا تسمح نفسه ببذل ما يجب عليه وهكذا الحسود واللجوج والفضوب، تمنعه هذه الأخلاق من الإذعان للحق، وهكذا اللجاج والتكبر يمتنعان عن قطع الجدال والخلاف، وكذلك الفظاظة والغلظة يمتنعان من العذوبة والسهولة، والشراسة والغضب يهيجان على المكابرة، وبالجمله كل هذه الأخلاق مفسدة للمودة ومخالفة لصفوة الأخوة، مستثقلة للنفوس، وموحشة للأنس والراحة، ومنفرة لألف الطباع ومنغصة للعيش ومبغضة للحياة»^(١) ويستمررون على هذا المنوال في تثبيت قواعد العمل بالنسبة للكسب على الصعيدين الاجتماعي والسياسي، وهم بهذا الفعل يمهّدون إلى مجتمع مثالي يطمحون في الوصول إليه، فبعد أن يكسبوا الصديق على الصعيد الاجتماعي هناك قواعد أيضاً يجب مراعاتها في التعاشر والتعايش معه، حتى إذا تبدل هذا الصديق وانقلبت آراءه قدر الإمكان أن يكون بدائرة الحياة لا بدائرة الأعداء فصاغوا لهذا الأمر تعاليم (توصيات) لأعضائهم بغية أن يكون العمل الاجتماعي ميسر في نطاق علاقاته الاجتماعية ويصب بنفس الهدف.

ومن جملة التوصيات تلك، فينبغي لك أن تكون أكثر كدك وعنايتك- بعد اتخاذ الصديق حفظه ومراعاة أمره وأداء حقوقه حتى لا تصير الصداقة عداوة بعد طول الصحبة بملالة أو ضجر أو شكوك أو ظنون أو شبهة تدخل في العودة أو نميمة ووشاية من مخالف له يسعى بينكما للفساد فتفقد يا أخي هذا الباب ولا تغفل عنه واعلم يا أخي إن الإنسان كثير التلون قليل الثبات على حال واحدة^(٢) وهم بهذا الاستدراك قد فهموا تلون طباع البشر وتغيير صروف حياتها أي أنهم فهموا دياكتيكياً التطور الاجتماعي وتجلياته في مختلف الأوقات لذلك ثبتوا هذه الأسس كمعايير أساسية للتعامل بها فكل حال متغيرة إلى حال أخرى إلا صداقة تكون لسبب ما فإذا انقطع ذلك السبب بطلت تلك الصداقة إلا صداقة إخوان الصفا فإن صداقتهم قرابة رحم ورحمهم أن يعيش بعضهم لبعض ويرث بعضهم بعضاً وذلك أنهم يرون ويعتقدون أنهم نفس واحدة في أجساد متفرقة فكيف ما تغيرت حال الأجساد بحقيقتها فالنفس لا تتغير ولا تتبدل^(٣).

(١) المرجع السابق ١٠٩/٤-١١٠

(٢) نفس المرجع ١١١/٤

(٣) ذات المرجع

هذه هي الصداقة عندهم هي خليط روحي ممتزج بأخلاقي عبروا عنه بالمعايشة الإنسية الصادقة وربطوا هذه الصداقة بالتمائل والامتزاج بنفس واحدة مهما تعددت الأجساد فهم يرثون بعضهم وهذا الاستدلال المنهجي يؤسس أولياته إلى رؤية جديدة نحو قيام مجتمع متآخي، يكمل الفرد فيه الجماعة، ومن نفس الأسس النظرية^(١) لذلك كان الواقع التنظيمي يجلي بأبعاده، من خلال تلك الأسس، المرتكسات النظرية الأولى نظام اجتماعي-سياسي كان يخططون له بجهادية عالية، وما دقة التنظيم الذي بنوه إلا دليلاً على ذلك.

فقد كانوا يرمون من وراء هذا التنظيم إذابة الأنا في بوتقة النحن ضمن ممارسات تنظيمية، من شأنها أن تصهر الكل في نظام اجتماعي متكامل، فإذا أحسن أحدهم إلى أخيه إحساناً فلا يمين عليه به، لأنه يرى ويعتقد أن إحسانه إلى نفسه، وإن أساء إليه أخوه لم يستوحش منه لأنه يرى كان منه إليه، فمن اعتقد في أخيه مثل هذا واعتقد أخوه فيه مثل ذلك فقد آمن كل واحد من أخيه غائلته أن يتغير عليه في يوم من الأيام بسبب من الأسباب أو بوجه من الوجوه^(٢).

ثم إن عملية دخول عضو جديد إلى جمعيتهم ليس بالأمر السهل، فالمعلوم عن هؤلاء الأعضاء المبتدئين أنه لم يكن يؤذن لهم بالانخراط في سلك الجمعية إلا بعد أن يبلوهم الدعاة، ويثبت لديهم أنهم ذوو ثقة ولا خوف منهم ولا خطر وأنهم أصبحوا قادرين على بث الدعوة، والدفاع عن الجمعية، بكل ما لديهم من الوسائل ومهما كلفهم ذلك من الأتعاب والأخطار، ولهذا لم يكن الدعاة يقبلون في الجمعية إلا أصحاب الإرادات القوية والعقول السليمة، وكانوا إذا قبلوا أجداً في جمعيتهم علموه، ودرّبوه، ثم أطلعوه على بعض أسرارهم حتى إذا بلغ المدعو درجة معلومة سمحوا له بأن يقسم قسمهم المعروف^(٣) وقبل ذلك أي قبل القسم هناك مراحل تراتبية، يجب أن يمر بها العضو المرشح ويجتازها بغية أداء القسم، وهو هنا نيل العضوية، فالمرحلة الأولى هي مرحلة:

١. التفرس: وهي شرط الداعي إلى بدعتهم أن يكون قوياً على التلبيس، وعارفاً بوجوه تأويل الظاهر ليردها إلى الباطن، ويكون مع ذلك مخيراً بين من يجوز من يطمع فيه وفي إغوائه وبين من لا طمع فيه^(٤).

(١) يمثلون هذا التأسيس النظري بقولهم:

وفي الجسم نفس لا تشيب بشبيه ولو أن مافي الوجه منه خراب
لها ظفر أن كل ظفر أعده وناب إذا لم يبق في الفم ناب
يغير مني الدهر ماشاء غيرها فأبلغ أقصى العمر وهي كعاب

ذات المرجع ١١١/٤

(٢) ذات المرجع ١١١/٤ - ١١٢

(٣) بندلي جوزي - من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ص ١٢٢ ونبه هنا إلى هامش ذات الصفحة رقم ١ حيث أشار جوزي إلى كتاب الفرق بين الفرق ص ٣٨٢ والصحيح هو ٢٨٢ فيرجى الانتباه والتصحيح

(٤) البغدادى - الفرق بين الفرق - ص ٢٨٢ الطبعة المصرية ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م وهنا ننوه بالموقف المعادي الذي يتخذه البغدادى ضدهم ومفردات النص تكشف ذلك بجلاء انظر ص ٢٨٣ لتكشف عدااء لهم.

٢. التأسيس: هي درجة قريبة من درجة التفرس عندهم، وهي تزيين ما عليه الإنسان من مذهبه ثم سؤاله بعد ذلك عن تأويل ما هو عليه وتشكيكه إياه في أصول دينه فإذا سألته المدعو عن ذلك قال: علم ذلك عند الإمام ووصل بذلك منه.
٣. إلى درجة التشكيك: وهي أن يصير المدعو إلى اعتقاد أن المراد بالظواهر والسنن غير مقتضاها في اللغة^(١).
٤. الریط: هي عندهم تعليق نفس المدعو بطلب تأويل أركان الشريعة، فإما أن يقبل منهم تأويلها على وجه يؤول إلى رفعها وإما أن يبقى إلى الشك والحيرة فيها^(٢).
٥. التدليس: قولهم بأصول النظر والاستدلال أن الظواهر عذاب وباطنها فيه الرحمة، متطلقين في ذلك من القرآن، فضربت بينهم بسور له باب باطنه في الرحمة، وظاهره من قبله العذاب (الحديد) فإذا سألهم عن تأويل باطن الباب، أجابوه^(٣) بشتى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي يأخذونها بمنهجهم، فإذا حلف لهم بالأيمان المغلظة، وبالإطلاق والعتق وبسبيل الأموال فقد ربطوه بها، لأنه قد حلف لهم على كتمان ما أظهره لهم من أسرارهم.
٦. السلخ: هو قبول العضو بعد تحليفه وسلخه عن الإسلام كما يقول البغدادي^(٤) وحينئذ يقولون له: إن الظاهر كالقشر والباطن كاللب، واللب خير من القشر^(٥).
٧. التعليق:
٨. التأسيس
٩. المواثيق والعهود
- لم يذكرها البغدادي بالشرح سوى أنه أشار إليها^(٦).

القسم.. نيل العضوية:

بعد هذه المراحل العسيرة من التجربة يدخل المرشح الذي اجتاز الاختبار درجة الداعي أي العضو الكامل الحقوق وعليه أن يؤدي القسم التالي كي يصح قبوله وإيمانه بما يقسم لأن ذلك من شروط العضوية.

القسم: يقول الداعي للعضو الجديد:

جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه، وذمته وذمة رسله، وما أخذ الله تعالى من النبيين من

(١) البغدادي ص ٢٨٦

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٧

(٣) الفرق بين الفرق / ص ٢٨٧

(٤) نفس المصدر مع الإشارة إلى أن البغدادي غير أمين بدقة نقله فهو متحامل عليهم

(٥) ذات المصدر

(٦) ذاته ص ٢٨٢

عهد وميثاق أنك تستر ما تسمعه مني وما تعلمه من أمري ومن أمر الإمام الذي هو صاحب زمانك، وأمر أشياعه وأتباعه في هذا البلد وفي سائر البلدان، وأمر المطيعين له من الذكور والإناث، فلا تظهر من ذلك قليلاً ولا كثيراً ولا تظهر شيئاً يدل عليه من كتابة أو إشارة إلا ما أذن لك فيه الإمام، صاحب الزمان، أو أذن لك في إظهاره المأذون له في دعوته، فتعمل في ذلك حينئذ بمقدار ما يؤذن لك فيه، وقد جعلت على نفسك الوفاء بذلك والزمته نفسك في حالتي الغضب والرضا، والغضب والرغبة والرغبة، قال: نعم

فإذا قال نعم قال له: وجعلت على نفسك أن تمنعني وجميع من أسمه لك مما تمنع نفسك بعهد الله تعالى وميثاقه عليك وذمته وذمة رسله وتنصحهم نصحاً ظاهراً وباطناً، ولا تخون الإمام وأولياءه، وأهل دعوته في أنفسهم ولا في أموالهم.

وانك لا تتأول في هذه الإيمان تأويلاً ولا تعتقد ما يحلها، وإنك إن فعلت شيئاً من ذلك فأنت بريء من الله ورسله وملائكته ومن جميع ما أنزل الله تعالى من كتبه وإنك إن خالفت في شيء مما ذكرناه لك فله عليك أن تحج إلى بيته مائة حجة ماشياً نذراً واجباً، وكل ما تملكه في الوقت الذي أنت فيه صدقة على الفقراء والمساكين وكل مملوك يكون في ملكك يوم تخالف فيه أو بعده يكون حراً، وكل امرأة لك الآن أو يوم مخالفتك أو تتزوجها بعد ذلك تكون طالقاً منك ثلاث طلاقات والله تعالى الشاهد على نيتك وعقد ضميرك فيما حلقت به.

فإذا قال نعم، قال له: كفى بالله شهيداً بيننا وبينك^(١).

وقفة قصيرة مع هذا النص (القسم) تبين لنا مدى الأهمية والسرية التي تتطلبها ظروف الحركة وقتذاك ولا ضير أن نرى هجوماً أعدائهم من الملل الأخرى فالمسألة هنا تخضع إلى الصراع الأيديولوجي لذلك، فقد شن عليهم البغدادي وهو ممثل لتيار السلفية -هجوماً حاداً فمن قوله: وكيف يكون لليمين بالله، ويكتبه ورسله عندهم حرمة. وهم لا يقرون بإله قديم، بل يقرون بحدوث العالم، ولا يثبتون كتاباً منزلاً من السماء ولا رسولاً ينزل عليه الوحي من السماء.. إلخ^(٢) لذلك خضعت عملية قبول الجديد إلى تعقيدات تنظيمية، ليس من السهل تجاوزها وهو ما يعطيهم العبر بذلك لأن حملات الافتراء والتشويه ما فتأت عنهم ساعة واحدة فهم مازالوا حتى اليوم عرضة للنقد والتجريح فتلك النصوص التي استقينها في سياق البحث، حصلنا عليها من أعدائهم، ولا نعرف إن جرى تحريف وتسويق لتلك النصوص فعملية الدس، مسوغة بمنظورها السلفي باعتبار أن الباطنية عامة هم ملحدين وزنادقة.. والأنكى من ذلك أن كثير من كتب الإسماعيلية وغيرها من الحركات الفكرية الإسلامية لم يصل إلينا منها إلا النذر اليسير.

وليس الأمر ينتهي إلى هذا الحد في قبول العضو الجديد، بل يخضع إلى مراقبة واختبارات

(١) البغدادي ص ٢٨٨ - ٢٩٠

(٢) نفس المصدر ص ٢٩٠ كان المفروض أن يقول البغدادي: قدوم العالم لإحداث العالم لكنها جاءت هكذا بالنص لأن هذا الاصطلاح «حدوث العالم»، لا يستكره البغدادي وانظر تحامله عليهم في الصفحات ٢٨٢-٢٩٩ بنفس المصدر.

أخرى تخضع لمقررات نظامهم الداخلي، وتلك المقررات تعرف عندنا اليوم بشروط العضوية^(١) فهي عندهم تتمثل بما يلي:

واعلم أيها الأخ البار أيدك الله وإيانا بروح منه، إن المطلوب من المدعويين الأعضاء الجدد إلى هذا الأمر أربعة أحوال: أولها الإقرار باللسان، والثاني: التصور لهذا الأمر بضروب الأمثال للوضوح والبيان، والثالث: التصديق له بالضمير والاعتقاد والرابع: التحقيق له بالاجتهاد في الأعمال المشكلة لهذا الأمر^(٢).

ومن يقارن اليوم بين هذه القواعد، وقواعد العمل في الأحزاب السياسية المعاصرة يفهم تماماً البعد الهام لدى إخوان الصفاء في إقرار هذه القواعد ويدرك تماماً أهمية تنظيمهم هذا، فليس من السهل لحركة سياسية ذات بعد إيديولوجي-ديني، تصوغ بهذه الدقة قواعد للعمل الحزبي في ذلك الوقت وهو ما يكشف لنا قصب السبق العربي-الإسلامي في نشأة الأحزاب السياسية في العالم.

ثم إن عملية إقرار شروط العضوية من قبل المدعو-العضو-الجديد لا تمر بهذه السهولة على التنظيم، أو المنظمة التي ينخرط فيها فهناك تعاليم داخلية ترافق هذه المسألة صاغتها هيئة أركان التنظيم السياسية وأوصلتها إلى الكوادر الوسطية المشرفين على هؤلاء الدعاة الجدد توصي بما يلي: واعلم إن المقر باللسان غير متصور له يكون مقلداً-تابعاً- والمتصور له غير المصدق به يكون شاكاً متحيراً والمصدق به غير المحقق له بالاجتهاد في العمل المشاكل لهذا الأمر بكون مقصراً ومفترطاً والمكذب باللسان لهذا الأمر المنكر له بقلبه يكون جاحداً كافراً، كما قال الله تعالى: ﴿الذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم أن لهم النار وإنهم مفرطون﴾^(٣). وهذه التعاليم اكتسبوها من خلال تجربتهم الطويلة في النضال السري لحركتهم الرائدة، مما ولد بقناعاتهم استنتاجات أولية أصبحت شبه قاعدة ثابتة بتصوراتهم لكل عضو جديد، صادقاً كان أو غير صادق وهذه يعرفونها من خلال القراءة النفسية للمرشح الجديد لعضويتهم، والتي تظهر على ذاته أفعال جديدة، تمكنهم من الحكم قطعاً في صدق الانتماء من عدمه وهذه الاستنتاجات النفسية يؤصون بها كادرهم المشرف على هؤلاء الجدد بقولهم:

واعلم أن المقر بهذا الأمر بلسانه المتصور له بقلبه على حقيقته يجسد من نفسه أربع خصال لم يكن يعرفها قبل: إحداها قوة النفس بالنهوض من الجسد، والثانية النشاط في طلب

(١) على سبيل المثال تكون شروط العضوية في الأحزاب الماركسية-اللينينية هي:

١. إقرار النظام الداخلي وبرنامج الحزب

٢. العمل في إحدى منظمات الحزب

٣. دفع الاشتراك المالي

(٢) الرسالة ٤٨- السابعة من العلوم الناموسية والشرعية- الرسائل ٢٢٤/٤

(٣) نفس المرجع

الخلاص في الهيولي التي هي جهنم، والثالثة الرجاء والأمل للفوز والنجاة عند مفارقة النفس للجسد، والرابعة الثقة بالله واليقين بتمام هذا الأمر وكماله^(١).

فنشاط العضو الجديد وقيامه بفعالية عالية، جهادية، إزاء الالتزام هو ما يميزه ويوضح موقفه إن كان صادقاً بالدعوة التي انتمى إليها من عدمه فالأربع خصال تلك هي حالات نفسية جديدة تطرأ على المعدن الجديد وتتفاعل مع إيجابياً ليثبت رؤية جديدة لديه تحسسه بالجديد في كامل كيانه فيندفع بتلك الولادة الجديدة ليثبت جديته في جديده الروحي والبدني.

قواعد العمل الحزبي

الاجتماعات:

إن سير العمل التنظيمي لكل حركة سياسية يتطلب منها عقد جلسات منتظمة (اجتماعات) تسهم في بلورة العمل السياسي للحركة من منطلق فكري واحد ومركز قيادي يوجه هذه العملية التنظيمية السليمة بدقة وعناية وسرية تامة ويكون التفاعل فيه (أي في الاجتماع) خاضعاً لمبدأين أساسيين مركزيين التنظيم وديموقراطية المناقشة للقرار السياسي، وهو ما يتطلب وجود وحدة عضوية للتنظيم تشد أواصرها الإيديولوجية والسياسية، ووحدة حال بين القيادة والقاعدة مما يتطلب أيضاً استمرارية اللقاءات للمناقشة فيما يخص أمور الحركة المختلفة، وهو ما التفت إليه (إخوان الصفا) وقرروا وجود اجتماعات خاصة بهم أي حصرها على أعضائهم في الحركة وهذا الإجراء هو تشديد للسرية التنظيمية تفردوا به إضافة إلى أن إجراء صياني للحركة فرضته عليهم ظروفهم فهم يقولون: أنه ينبغي لإخواننا أيدهم الله، حيث كانوا في البلاد، أن يكون لهم مجلس خاص يجتمعون فيه في أوقات معلومة، لا يداخلهم فيه غيرهم يتذكرون فيها علومهم ويتحاورون فيه أسرارهم^(٢).

إن هذا النص يجلي بين طياته أموراً أعمق فهو يؤكد على العملية في معنى التصرف في أمور السياسة وبعدها الزماني التي يخططون لها باعتبار أنهم يقررون شيئاً هاماً وخطراً في وقت معلوم محدد لهم، وهذا التقرير نابع من رحاب أفكارهم أولاً وهم يرمون به إلى توسيع الرقعة المكانية في توجيه الخطاب والسرية التامة لهذه المجالس - الاجتماعات - فهم يريدونها أن تكون خاصة بهم وهذه الخصوصية تعطي للتنظيم استقلالية من ناحية وتفرداً من ناحية أخرى يترتب على نتائجها دروس التجربة وخوضها منفرداً.

كظاهرة اجتماعية جديدة بدأوا بتطبيقها وبذا تكون عملية التأسيس لهذه الظاهرة الجديدة مسألة تخضع للصح والخطأ^(٣)، فما صح أخذ به وثبت كاشتراط لقواعد عمل حزبي وما خطي يدرس بأكثر دقة وأشد إمعاناً لتقصي مكمّن الخطأ وتجاوزه أي أنهم ارتقوا بمبدأ التقية إلى

(١) المرجع السابق كما أن تلك التعاليم تكررت في الرسالة ٤٥ - الرابعة من العلوم الناموسية الرسائل ١٢١/٤

(٢) الرسالة ٤٥ - الرابعة من العلوم الناموسية والشرعية - الرسائل ١٠٥/٤ وانظر كذلك ٢٣٧/٤

(٣) تجربة الصح والخطأ في البنية التنظيمية ذات اثر واضح في الفلسفات السياسية الحديثة لاسيما فيما يدعى بالمشهد البراغماتي ومن الممكن أن تكون هذه الفكرة الصح والخطأ ذات جذر انثريولوجي لبعض الأحزاب القومية المعاصرة في الوطن العربي

ظاهرة سياسية منظمّة، ذات فعل وتأثير في الوسط الاجتماعي لذلك أكدوا على الخصوصية في هذه الاجتماعات لا يداخلهم فيه غيرهم ^(١) أي تبادل الآراء والخبرات وتدارس نتائجها تكون حصراً ويتحاورون في أسرارها وهو ما كان لهم فعلاً.

لذلك نرى أن الحركات السياسية الإسلامية التي عاصرتهم، لم ترتق إلى مستوى عملهم السياسي، رغم أنها أخذت من مبادئهم كثيراً من هذه الأساليب، والاجتماعات أو المجالس عندهم تكشف عن وجود نوعين من الاجتماعات الأول للعلوم والثاني للأسرار، وبعبارة معاصرة نقول: اجتماعات تثقيفية واجتماعات تنظيمية، فالأولى يتذكرون فيها أو في أكثرها في علم النفس، والحس والمحسوس، والعقول والمعقول، والنظر والبحث عن أسرار الكتب الإلهية والتنزيلات النبوية، ومعاني ما تضمنتها موضوعات الشريعة وينبغي أيضاً أن يتذكرون العلوم الرياضية الأربعة، العدد، والهندسة، والتنجيم والتأليف، وأما أكثر عنايتهم وقصدهم فينبغي أن يكون عن العلوم الإلهية التي هي الغرض الأقصى ^(٢).

هنا أباونا وحددوا بدقة ووضوح طبيعة اجتماعاتهم التثقيفية وموادها، وحددوا المسار العام لها والواجب تدارسه، بشكل عام ودائم أي حددوا البرنامج التثقيفي السياسي للحركة، وأعطوا أهمية إلى العلوم الإلهية أي بعبارة أخرى العلوم الفلسفية وهي نقطة هامة تبين مدى اهتمامهم بالأمور العقلية.

ثم إنهم ضمنوا تعليمات أخرى في برنامجهم السياسي، هو عدم معاداة أي علم من العلوم، فهم يوجهون أعضاءهم بما يلي:

ينبغي لإخواننا أيدهم الله تعالى أن لا يعادوا علماً من العلوم أو يهجروا كتاباً من الكتب، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب، لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها، ويجمع العلوم جميعها، وذلك أنه هو النظر في جميع الموجودات بأسرها، الحسية من أولها إلى آخرها، ظاهرها وباطنها، جليها وخفيها، بعين الحقيقة من حيث كلها من مبدأ واحد وعلة واحدة، وعالم واحد، ونفس واحدة محيطة جواهرها المختلفة وأجناسها المتباينة وأنواعها المفضنة وجزئياتها المتغايرة ^(٣). فهذا التأكيد الثاني يؤكد بناء العضو داخلياً من الناحية الإيديولوجية وبالتالي يوضح مدى التأهل بمختلف قنوات المعرفة في تثقيفهم الذاتي، وضرورة التعايش مع مختلف الثقافات والمذاهب وهو ما يضيف على نظرتهم شمولية إنسانية ذات أفق عالمي لا زال له صدى في عالمنا المعاصر ^(٤).

والجانب الآخر من اجتماعاتهم هو مخصص للوضع التنظيمي أو ما عبروا عنه بـ (يتحاورون فيه أسرارهم) وهو واضح الدلالة والاستدلال فشؤون الحركة تتطلب من أعضائها، مناقشة ما

(١) الرسائل ١٠٥/٤

(٢) الرسائل ١٠٥/٤

(٣) المرجع السابق ١٠٥-١٠٦

(٤) كان لينين يقول: نحن ورثة ما أنتجته الإنسانية

يدور في ساحتهم الاجتماعية، وما يجري عليها من تفاعلات ومناقشة ذلك داخل هيئاتهم الحزبية.

وتلك الهيئات يكاد تقسيمها الخلوي ينطبق وتقسيمات عصرنا الراهن، من ناحية المكان والعمل، وهي تقسيمات هامة تعطي للنشاط حيويته من خلال نشاط كل عضو في مجاله المهني أو النقابي.

التقسيم الخلوي:

لضرورة المكان وموقع العمل، في هذا البلد أو ذاك أهمية قصوى في المجال التنظيمي، والحزبي تؤدي برمجتها وتنسيقها فائدة هامة لعموم الحركة السياسية مما يوفر للكوادر غطاء أمنياً من ناحية ومن ناحية أخرى شدة المتاعب والمعاناة الملقاة على كاهلهم إضافة إلى أن وجود (خلية) في هذا الحي أو ذاك المصنع يعني وجوداً للحركة ذاتها باعتبارها تلك الركيزة أو الخلية هي عين راصدة ونافذة تطل منها الحركة على الجمهور، وقد أدرك (إخوان الصفاء) هذه النقطة الهامة وطبقوها بإبداع في مجالهم التنظيمي، ومن يطلع على الرسائل يكتشف بصدق تحليلاتهم السياسية، المأخوذة معطياتها الأولية من واقع الحياة السياسية — الاجتماعية ومن مختلف المواقع والأمكنة، وهو ما يكشف لنا مدى الانتشار الخلوي لقواعدهم في كيان الدولة العباسية. فحركة (إخوان الصفاء) استطاعت أن تجد لها ركانز وخلايا في كل طبقات المجتمع، بدءاً من طبقة المعدمين، وانتهاء بهرم السلطة العلوي، وهو ما يكشف لنا مدى الجماهيرية التي تتصف بها حركتهم تلك، وهم يعترفون بذلك علانية بقولهم: ((اعلم أيها الأخ، أيدك الله وإيانا بروج منه، ان لنا إخواناً وأصدقاء من كرام الناس وفضلائهم، متفرقين في البلاد، فمنهم طائفة من أولاد الملوك والأمراء والوزراء، والكتاب والعمال، ومنهم طائفة من أولاد الأشراف والدهاقين، والتناء والتجار، ومنهم طائفة من أولاد العلماء والأدباء والفقهاء وحملة الدين، ومنهم طائفة من أولاد الصنائع والمتصرفين وأمناء الناس^(١) والهام في الأمر هنا، انهم اختاروا من كل فئة مسؤولاً عنهم من نفس الفئة، وهذه الهيكلية الطبقية وفرت عليهم عناء الحساسية الطبقية، والتي مازالت قائمة حتى اليوم في عموم الحركات السياسية في العالم، وبمختلف اتجاهاتها. وهذا التجاوز العلمي في الهيكلية التنظيمية تجاوز وفق شعار (استعينوا على كل صناعة بأهلها).

كما انهم يمتلكون رؤية واضحة المعالم، للمجتمع، فهم يؤكدون ذلك بقولهم: (ان الناس أصناف وطبقات في متصرفاتهم في أمور الدنيا، لا يحصي عددها إلا الله، جل ثناؤه كما ذكر بقوله تعالى «وقد خلقكم أطواراً» ولكن يجمعهم كلهم هي السبعة الأقسام، وذلك ان منهم أرباب

الصناعات والحرف والأعمال ومنهم أرباب التجارات والمعاملات والأموال ومنهم أرباب البنايات والعمارات والأملك، ومنهم الملوك والسلاطين والأجناد ومنهم الزماني، والعطل وأهل البطالة والفرار، ومنهم أهل العلم والدين والمستخدمون في الناموس.

وكل طائفة من هذه السبعة تنقسم إلى أصناف كثيرة ولكل صنف منها أخلاق وطباع وسجايا ومآرب أكسبتهم إياها أعمالهم وأوجبتها لهم متصرفاتهم، لا يشبه بعضها بعضاً ولا يحصى عددها إلا الله عز وجل^(١).

فهذا التصنيف للمجتمع وتلك المعرفة الدقيقة بطباع الناس وسجاياهم لم يفوتهم في عملية البناء الحزبي لتنظيمهم لذلك أوجدوا داعياً من وسط هذه الفئات عارف بخفايا فنته التي ينحدر منها وبهذا الجانب يقولون: وقد ندبنا لكل طائفة منهم أخاً من إخواننا، ممن ارتضينا في بصيرته ومعارفه لينوب عنا في خدمتهم بإلقاء النصيحة إليهم بالرفق والرحمة والشفقة عليهم وليكون عزناً لإخوانه بالدعاء لهم إلى الله وإلى ما جاءت به أنباؤه عليهم السلام، وإلى ما شارت إليه أولياؤه من التنزيل والتأويل لإصلاح أمر الدين والدنيا أجمعين^(٢).

طقس الاجتماع:

إن الحالة السياسية العامة لأي بلد، هي التي تحدد أشكال النضال للحركات السياسية المعارضة والمنسجمة مع السلطة وعلى ضوء هذا الظرف الموضوعي، يتحدد الظرف الذاتي للحركة السياسية، وقد مربنا كيف أن حركة إخوان الصفا تعيش حالة المواجهة مع السلطة أي أن شكل وجودها سري وبالتالي فإن هذه السرية تتطلب وجود اجتماعات سرية بالضرورة، ينسجم وتوجه الحركة بشكل عام، لذلك راعى إخوان الصفا هذا الجانب بشكل جيد وحددوا بعض الأولويات التنظيمية لاجتماعاتهم ووفق حالتهم السياسية.

وقد عرف الإخوان الأهمية القصوى للزمن واستدركوها في واقعهم العملي، فنظموا ذلك وفق اعتقاداتهم الروحية، وما ينسجم وإيديولوجياتهم السياسية والفكرية التي يسعون لتطبيقها، فقد قرروا أن تجري اجتماعاتهم كل اثني عشر يوماً ووفق ما يسمح بظرفي المكان والزمان فقد قالوا:

اعلم يا أخي، أيديك الله وإيانا بروح منه، إن الذي يجب علينا أن نوصيك به، ونلقيه إليك (انظر صيغة التوجيه) ونبلغك إياه ونعتمد فيه عليك من مراعاة إخوانك ومن قبلك من أصحابك، ومن استجاب إليك ويستجيب إن شاء الله أن تجعل لهم مجلساً تجمع فيه جماعتهم في كل

(١) الرسالة ٩- وهي أيضاً التاسعة من القسم الرياضي - الرسائل ٢٤٨/١

(٢) الرسالة ٤٨- السابعة من العلوم الناموسية - الرسائل ٢٣٦/٤

اثنى عشر يوماً واحداً يجتمعون فيه حيث ما اتفق لهم من مواضعهم وأمكناتهم بحيث يأمنون فيه على أنفسهم، ويكون اجتماعهم على تقوى من الله عز وجل^(١).

فالجانب السياسي في الاجتماع هو عملية عقد هذا الاجتماع في ظروف مؤاتية تتيح تنفيذه بشكل يؤمن فيه على سلامة الأعضاء أو الخلية، من أي طارئ قد يتعرض له المجتمعون، لذلك نقول إن الجانب الأمني في الاجتماع كان أحد مقومات الحركة السياسية، وينفس الوقت أحد شروط النظام الداخلي لهم.

والاجتماع رغم كونه سياسي إلا أنه ذو بعد ديني خاضع بضحوه إلى أحكام الشريعة الإسلامية فليس يكون حضور الاجتماع كيفما اتفق للأعضاء وإنما إن يتقيدوا بطقس خاص خيفة و مراقبة و يتطهرون قبل حضورهم و يتنظفون و يأخذون زينتهم بأحسن ما يقدرون عليه^(٢) فإذا اجتمعوا بحيث تراهم (التوصيات هنا للداعي) وتعاينهم ولا تفقد أحدا منهم إلا لعذر يمنعه من القدوم عليك والوصول إليك^(٣) وهنا بينوا أهمية اكتمال النصاب للاجتماع و ضرورة التفقد لكل الأعضاء ومعرفة سبب كل غائب أي أن الضرورة الأمنية تظل ترافق حيثيات الاجتماع من أوله إلى آخره.

وبعد التأكد ومعرفة الأسباب الحقيقية لتخلف العضو والافتناع بها يظهر سكرتير الخلية فابرز لهم و اخرج عليهم في زيك وحالك وجميل هيئتك وجليل هيبتك كبروز النفس الكلية للنفوس الجزئية اذ هم لك كالأولاد وأنت لهم كالوالد وهم لك كالأجساد وأنت لهم كالنفس وهم لك كالبيوت وأنت فيهم كالسكان إذ كانت حكمتك مودعة فيهم وروحك نازلة عليهم^(٤) ويكون خروجك بسكينة ووقار في ليل كان ذلك أم في نهار فإذا رأيتهم بحيث يرونك ويسمعون منك ويفهمون عنك فأتل عليهم من حكمتك وعظهم بتذكرك بحسب ما يتحمل مكانهم وتوسع له أذهانهم^(٥) فتلك التوصيات هي ما تشكل بقية الطقس للاجتماع وينفس الوقت تعطي للكادر وتعلمه معنى المسؤولية في القيادة فالكياسة والوقار والحكمة والسكينة هي إحدى المقومات للكادر يجب أن يتعلمها العضو البسيط كي يأخذ بها مستقبلاً والهيبة والجلالة التي يظهر بها الكادر هي تمثيل لهيبة التنظيم في الخلية أو الهيئة وهي مسألة هامة لازالت سارية حتى الآن.

(١) الرسالة الجامعة ٣٥٩/٢

(٢) يتبع الحزب الشيوعي البريطاني تقليداً كهذا فعندما يكون لدى العضو اجتماع فإنه يتأنق بأحلى ما عنده من الأزياء وكأنما هو ذاهب إلى حفلة رقص موسيقية

(٣) الرسالة الجامعة ٣٩٥/٢

(٤) تؤكد الأصول اللينينية في حياة الحزب الداخلية ومبادئ القيادة الحزبية على أن سكرتير الهيئة يجب أن يكون مقلد عین الحزب وهو ما يتطابق وفهم إخوان الصفا باعتبارها السكرتير كالوالد انظر ص ١٦٧ تأليف ستيبتشيف - إصدار دار التقدم - موسكو ١٩٧٧

(٥) الرسالة الجامعة ٣٩٦/٢

واجبات سكرتير الخلية:

ليس غاية (إخوان الصفا) من الاجتماعات ضياع الوقت هدرا فكما قلنا هم قد أدركوا معنى الزمن وحالة الإدراك هناك تعنى إعداد الأعضاء (تجيشهم) وفق البعد الإستراتيجي الذي كانوا يرسمونه فداخل الخلية يجب إعداد هذا العضو روحيا وجسديا للامتزاج الكلي في النظرية والا ما فائدة الوقت الذي يمضيه الأعضاء في الاجتماعات والندوات إذا كانت عقيمة ولم ترفع من قيمة الإنسان ووعيه بحيث يكون فعلا في مستوى المسؤولية القادمة التي ستضطلع بها وعلى سكرتير الخلية إذا كان أمينا لمبادئه صادقا في داخله مع ما يعتقد فان مسؤوليته اكبر من أي عضو آخر فالبناء الحقيقي في الخلية يبدأ وبها يبدأ التنفيذ وبالضرورة يكون فيها القرار قد تبلور والتصور قد اكتمل عن مجريات الأحداث وهو ما ينقله أمين هذه الخلية. السكرتير بشكل صادق ومسؤول (فإخوان الصفا) يؤكدون على كادرهم هذا الممثل لهم في الخلية على ان يعرفهم ان أصلح الأعمال واجل الأفعال تفقد إخوانهم وتدير أمورهم^(١) ومعرفة السياسات الدينية والدنيوية، وما يجب أن يعملوه، ويعاملوا به أهل الدنيا في معيشة الدنيا وما يجب لهم وعليهم من أداء الأمانة وترك الخيانة ومحبة بعضهم بعضاً في الله عز وجل وان يتواصلوا ويتهادوا ويتحابوا ويتصافوا ولا يعصي بعضهم بعضاً وان لا يتخاصموا ولا يتعادوا ولا يتقاطعوا ورسالة ومقالة مقالة وبينها بأوضح الدلالة^(٢)

هذه التوصيات هي واجبات على الكادر يقوم بها في سياق العملية التنظيمية أي ان الناحية الاجتماعية هي الأخرى تكون في سياق تربية العضو ومن واجبات السكرتير وعليه ان يراقبها بدقة لان الفعل السياسي تظهر آثاره في البنية الاجتماعية وليس ذلك فقط بل يجب مراقبة تطور العضو في سياق العملية التثقيفية من خلال الالتزام بمنهج الحركة السياسي أي (الرسائل) فواجب الكل الاطلاع عليها وتفهمها وعلى الداعي السكرتير ان يقربها بأذهانهم كي تحصل عملية الاستيعاب لكل ما ورد فيها وبالتالي تتحول تلك الأفكار إلى قوة مادية تؤدي فعلها في السياق الاجتماعي

ثم على السكرتير ان يراقب عن قرب مدى تطور هؤلاء الذين يقودهم بغية خلق كوادر منهم واعدادهم أي ضرورة خلق الظل الاحتياط وهذه العملية قد سبق إليها إخوان الصفا في هذا البناء السياسي وجعلوا هذه الناحية اقصد خلق الظل مدرسة لمن بعدهم او عاصرهم فهم يؤكدون هذا المنحى بقولهم بعد تفهم الأعضاء (الرسائل): (حتى تستخلص منهم طائفة لنفسك (كوادر) وترمقهم بعينك فإذا استخلصتهم ورضيت سعيهم بعد إيقاعك المحنة بهم «التجربة» في أمور دنياهم ومواضع المحبوبات منهم وفعلها في المطالبات فأمرتهم ببعد الأقارب المحبوبين في الله

(١) تتنصل بعض التنظيمات السياسية المعاصرة عن رفاقها بمجرد اختلافات فكرية تظهر عند هذا أو ذاك وهذه الظاهرة تكاد تلحظ في أكثر من بلد وأكثرها ما يحدث في المنافي.

(٢) الرسالة الجامعة ٣٩٧/٢-٣٩٨

ففعّلوا، وصلّ الأباعد في الله فامتثلوا ونفقة الأموال في سبيله فأنفقوا، والجهد بالأنفس فبذلوا، والسعي فيما يرضي الله فسعوا، والخروج من الأوطان في الله فخرجوا، وفارقوا الأحباب وأيتموا الأولاد وأرملوا النسوان وفارقوا البلاد والأوطان، فعند ذلك إذا صبروا على هذه المحن فأهدهم بعلمك واتل عليهم حكمتك و طهرهم بماء الحياة و اوقفهم على طريق النجاة واقرا عليهم الكتب المصونة و الاسرار المخزونة والعلوم المكنونة بشرح ما في هذه الرسالة الجامعة وما في غيرها من الكتب ^(١) وأوقفهم على الأسرار وعلى معاني الأخبار والروايات والأمثال والإشارات والعلامات فإذا قبلوا ذلك عنك ورأيتهم مصورا فيهم مستقرا عندهم فاجعل على كل جبل منهم جزءاً ثم ادعهم يأتينك سعيًا. ^(٢)

بعد هذه التجارب الحزبية من قبل الداعي السكرتير إلى أعضاء خليته عليه ان يسلك سلوكاً آخر تستجوبه حالة هؤلاء الذين اجتازوا الاختبار بكفاءة عالية منشؤها الإيمان الصادق بالتنظيم والمبدأ الذي انتهجوه فعلى الداعي السكرتير ان تكون عشرته لهم عشرة أباً شقيقاً وطبيباً رفيقاً ولا تكن نزقاً ولا خرقاً ولا منحرفاً ولا متجبراً ولا متكبراً ولا متغيراً ولا تحمل احدا منهم فوق طاقته ولا تكلفه فوق وسعه ^(٣).

هذه الواجبات الحزبية التي يتحملها السكرتير ليست بالأمر السهل ولا كل من أبدى بعض الجهادية استحق هذه التسمية بل هي أمانة حزبية أوجبها المبادئ في عنقه وافترضتها عليه الشريعة وان يكون طبقها في النزاهة والمسؤولية هي ان يثبت الداعي كفاءته لها لأنه سيقود آخرين يهتدون برشده ويسرون وفق توجيهه.

ان إخوان الصفا يرون في الداعي السكرتير مكنن الأمانة والإسرار والموكل في الحفاظ على النظرية فهم يخاطبونه وهذه إحدى وخمسين رسالة وهذه الرسالة يقصدون الجامعة تقليدينا لك وعهدنا إليك فيما أمرناك به وأمرناك له فاعمل به بموجب الأمانة وإياك والخيانة والقها إلى من أمرت بهديه وهده، وإخراجه من عماه وتعريفه ربه وأولياءه، وما يجب له من ذلك بقدر احتماله وما توجيه له أعماله ^(٤).

فالإشارة إلى تقليد الداعي (السكرتير) هذه الرسائل والرسالة الجامعة أي أنه وصل الدرجة الخامسة ^(٥) في سلم ارتقاء الحزبي، بحيث أولي الأمانة وأصبح مطلعاً على أسرار الدعوة، فم سلمت له الرسالة الجامعة، يعني بلغ شأواً هاماً في كيان الدعوة، فالخطاب الموجه (أمرناك له) صيغة واضحة لتحمل مهام الحركة والإشراف على شؤون قسم كبير منها، وهو ما يتفق وروح

(١) يضيفون إلى الرسائل والرسالة الجامعة ماييلي: المدراس الأربعة والكتب السبعة والجفر، والرسائل الخمس والعشرون والرسائل الإحدى والخمسون الرسالة الجامعة ٣٩٨/٢-٣٩٩

(٢) نفس المصدر السابق

(٣) المصدر السابق ٤٠٠/٢

(٤) المرجع السابق ٤٠٠/٢-٤٠١

(٥) انظر الفصل الخاص بدرجات تقسيم الكادر ومسمياتها وصلحياتها في هذا البحث.

عصرنا الحالي بصدد مثل هذه المسؤوليات ^(١) فبموجب هذه التولية للكادر، يصبح من حقه أن يقدم كادراً آخر إلى درجة حزبية أعلى، وهو ما أشاروا عليه بالنص وما يبدو لك من أفعاله يقصدون من هو تحت إشرافه بعد إيقاعك المحنة به فإن ثبت فرقه إلى العلى ^(٢).

وليس ذلك فقط، ربطوا مسؤولية تنزيل الكادر به، وفق هذه الصلاحية، حتى يكون مسؤول فعلاً من موقعه في اتخاذ القرار، ولكن بموجب الأمانة المبدئية التي تقضي التزام منهج الشريعة والنظام الداخلي للتنظيم، واستناداً إلى التوصيات والتعليمات الكثيرة والهامة الواردة في ثنايا الرسائل فقرار العقوبة، وقرار الثناء والتقديم ربطت بهذا الكادر الوسطي -السكرتير- وحسب موقعه وبهذا الصدد يوضحون موقفهم بما يلي:

وإن زلت به قدمه فاعتمد به على الأخرى، وإن زلت به القدمان، وعدم المنزلتين فخله في مكانه ولا تعن بشأنه، واطو عنه ما كنت ذكرته أي التريث والتربية المستمرة للعضو المقاد تقع على عائق السكرتير فإذا أخطأ للمرة الأولى يجب أن ينبه فيها، ويبقى في مسؤوليته أي استخدام مبدأ النقد معه وإن أخطأ ثانية بعدم ولا يرجى صلاحه فيبقى في مكانه أي بعبارة سياسية أكثر عصري، تجميده لماذا؟ لئلا يحتج به عليك في باطله وما يبديه من سوء عمله ^(٣) أي حق العضو يجب أن يبقى مصاناً وفق النظام الداخلي ما لم تؤخذ العقوبة بحقه بعد، فهو كامل العضوية ما لم يتبع الشياطين ويرافق الظالمين.

فإن أصر على هذه المرافقة، هذا الهوى بالإتباع، آنذاك تتوجب بحقه الإجراءات المنصوصة في النظام الداخلي وأغلق دونه بابك وأسبل -أنزل الستار- احجب، فيما بينك وبينه حجابك، بشكل لا يثير الدهشة أو ردود الأفعال، أو بمعنى آخر، تصرف بحكمة، ولا توحشه وقل له قولاً ليلاً، عضله عظة المؤنس له، فإن ثاب وأناب، فهو على ما تريده منه، وإن أبى فما على الرسول إلا البلاغ المبين ^(٤) أي أن اتخاذ الإجراءات الأولية والمتابعة قد تجدي نفعاً فلربما ثاب هذا العضو إلى رشده وانتقد فعلته، فلا بأس من عودته، ويعكسه فالنظام الداخلي هو الفصل في مثل هذا الأمر.

الإشراف الحزبي:

استكمالاً للعملية التنظيمية المقسمة على أساس مكان السكن وموقع العمل، وتشكيلة الأصناف في البناء الخلوي فإن الإخوان يوفدون مندوبين عنهم بصفة مشرف حزبي، وهذا المندوب، يؤدي عمله الإشرافي على هيئة معينة وفق توصيات من التنظيم الأعلى، ومن ثم ينطلق

(١) يقول لينين: إن كل عضو في الحزب مسؤول الحزب والحزب مسؤول عن كل عضو فيه انظر المؤلفات الكاملة -المجلد ٧/ص ٢٩٠ الطبعة العربية وانظر كذلك الأصول اللينينية مرجع سابق ص ٥٨

(٢) الرسالة الجامعة ٤٠١/٢

(٣) نفس المرجع

(٤) ذات المرجع والصفحة

بها، وهذا المشرف ينتدبه التنظيم لقيادة قطاع معين، يزود بالتعليمات التالية:
 قد اخترناك أيها الأخ البار الرحيم، أيدك الله وإيانا بروح منه لمعاونتهم وارتضيناك لمشاركتهم،
 لما أتاك الله من فضله من العقل والفهم، والتميز، وحرية النفس، وصفاء جوهرها لتكون مساعداً
 لإخوانك، ومعاصراً لهم، لأن جوهرك من جوهرهم، ونفسك من نفوسهم وصلاحيهم من (١)
 صلاحك (٢).

والإشراف الحزبي لديهم يكون ذا طبيعتين، إما مسؤولاً عن تثقيف جماعي وقيادة تنظيمية
 كما هو موضح في النص أعلاه، أو يكون ذا طبيعة فردية تقتضيها متطلبات التنظيم لمراقبة كادر
 معين، أو عضو آخر، كان ذا مسؤولية إشرافية على هيئة ما، تتطلب معرفة أسلوب قيادته للتنظيم
 أو ربما تقديمه إلى موقع أعلى أكثر خطورة، فلا بد إذن من معرفة سلبياته وإيجابياته، من التنظيم
 الذي كان يقوده، وهنا بتقديري تتجلى الديمقراطية في الانتخاب والتقديم على أجمل وجه
 عرفته الحياة السياسية للأحزاب المعاصرة والقديمة على حد سواء.. وعلى المشرف هنا، أن يقدم
 تقريراً عن مهمته الإشرافية ونتائجها لأن المشرف كلف رسمياً من قبل التنظيم على الشكل
 التالي:

فامض على بركة الله وحسن توفيقه إلى أخ من إخواننا وتوصل إليه بالرفق على خلوة
 وفراغ من مجلسه، وطبقة من نفسه، فاقراً عليه منا التحية والسلام وبشره بما يسره من نصيحة
 الإخوان وعرفه شدة شوقنا إلى إخوانه ومودته وولايته، والله يوفقه وإيانا للسداد، ويهديه وإيانا
 للرشاد ولجميع إخواننا حيث كانوا في البلاد.

ثم عرفنا ما يكون منه من الجواب والله يوفقكما وجميع إخواننا للصواب وقل له: أخبرنا
 أيها الأخ الكريم عن صاحبك هذا الذي أنت متعلق بخدمته ومجتهم في طاعته ومعتمد في عز
 سلطانه، هل تعلم أنه كان في هذا الأمر الذي هو فيه الآن (٣).

وعند انتهاء هذه المهمة عليه أن يقدم تقريره إلى تنظيمه وفق الأصول، وحسب مرجعيته
 هذا المشرف -الداعي- التنظيمية.

التثقيف والإعداد الحزبي:

إن حركة سياسية كحركة (إخوان الصفا) تتطلب وضعها التنظيمي إعداداً حزبياً متواصلاً
 كي تستمر في الديمومة والنماء، لاسيما وأن برنامجهم السياسي المتمثل بأفكارهم السياسية
 والفلسفية الواردة في الرسائل تتطلب جهداً استثنائياً من لدن كل الحركة، قاعدة وجماهير،
 قيادة وقواعد، بغية تنفيذ ما قطعوه على أنفسهم وما عبرت عنه الرسائل فهذا الأمر يتطلب

(١) من غير موجودة في النص نقترح إضافتها لاتساق المعنى أكثر

(٢) الرسالة ٤٨-السابعة من العلوم الناموسية والشرعية الرسائل ٢٣٦/٤

(٣) المرجع السابق الرسائل ٢٣٦/٤

وجود رافد دائم العطاء يمد الحركة بدماء شابة جديدة، تتحمل أعباء الحركة وتثبت وجودها في كل الميادين لذلك أعطت الحركة أهمية قصوى في تنشئة الكادر وإعداده سياسياً وإيديولوجياً ضمن خطوط مرسومة وموضحة في ثنايا الرسائل وهذه الخطة التكتيكية في التعامل مع المدعوين الشباب تقتضي بتقديم المعارف الأولية إليهم عن شؤون الدعوة، وهي المعارف التي تستثير في أذهانهم الشكوك في ما يكون قد وصل إليهم من معتقدات دينية أو مذهبية أو من أصول إيديولوجية أخرى ثم تستثير في الوقت نفسه فضولاً معرفياً عندهم للاطلاع على ما هو أبعد من تلك المعارف الأولية عن شؤون الدعوة.

وهكذا تتدرج أساليب التعليم متصاعدة، مرحلة بعد أخرى مع تصاعد مراحل العمر بالمدعوين، حتى تبلغ معهم مرحلة ما بعد الخمسين من أعمارهم فيحق لهم حينذاك بلوغ المرتبة الرابعة وهي العليا فيرتفع الحذر ويصبح التعليم صريحاً معهم، ويمكنهم الاطلاع على أسرار المنظمة كاملة^(١).

وقد فطن إخوان الصفا إلى المرحلة الأولى من مراحل التنشئة في عمر الإنسان أي فترة ١٥ سنة الأولى من حياته أو ما نطلق عليه اليوم (الشببية) حيث في هذه المرحلة يدرك المرء الأمور المحسوسة وما ان يصل إلى نهايتها حتى يكون قد اكتسب القدرة على التمييز والفهم، واكتسب أيضاً الآداب والأخلاق والأفعال التي توافق طبيعته واستعداداته^(٢).

أما المرحلة الثانية أي من سن ١٥-٣٠ فيهتم إخوان الصفا بها اهتماماً خاصاً حيث يكون المرء فيها متمسكاً بصفاء الجوهر وجودة القبول وسرعة التصور ويكن لديه الاستعداد لاكتساب الخصال والأخلاق والأفعال التي يحتاج إليها الملوك والرؤساء وبمعنى آخر يكون قابلاً لأي توجيه سياسي على حد تعبير د. حجاب^(٣).

فهم يوصون إخوانهم بأن سعادتهم تتفق مع وجود معلم لهم في مثل سنهم وهم بنفس الوقت يحددون صفات هذا المعلم -الكادر- بغية أن تكون عملية التفاعل العقلي المتبادل بين العضو الجديد والمعلم، ذا نتائج إيجابية، لأن في هذه المرحلة الهامة يتكون لدى الإخوان القوة الحكيمة الواردة على القوة العاملة^(٤) لذلك ركزوا عليها بشيء من الاهتمام الجدي والمراقبة الدقيقة وقرروا أن يكون مسؤول التثقيف ذا صفات ذكية وطبع حسن، وذهن صاف أو على حد تعبيرهم (معلم ذكي) جيد الطبع، حسن الخلق، صافي الذهن، محب للعلم، طالب للحق، غير متعصب لرأي من المذاهب^(٥) لأنهم يريدون أن تكتسب الملاكات الجديدة صفة مسؤوليها بشكل

(١) النزعات المادية ٣٧٢/٢

(٢) يشير د. حجاب إلى أن هذه الفترة من حياة الإنسان تركز عليها الدراسات الحديثة في مجال التنشئة السياسية حيث يؤكد الباحثون المعاصرون على أهمية الخبرات والتجارب التعليمية المكتسبة في هذه المرحلة في تكوين الشخصية الاجتماعية

انظر كتابه الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا ص ١٣٠

(٣) المرجع السابق

(٤) الرسالة ٤٥-الرابعة من العلوم الناموسية الرسائل ١١٩/٤

(٥) المرجع السابق ١١٤/٤

أكثر إيجابية لأن المتلقي الجديد كورق أبيض نقي لم يكتب فيه شيء فإذا كتب فيه شيء حقاً كان أم باطلاً فقد شغل المكان ومنع أن يكتب فيه شيء آخر ويصعب حكه ومحوه، فهكذا حكم أفكار النفوس، كما يقولون إذا سبق إليها علم من العلوم واعتقاد من الآراء أو عادة من العادات تمكن فيها حقاً كان أو باطلاً ويصعب قلمها ^(١) وهذا التأكيد نابع من خطورة هذا الكادر الوسطي الذي يجب أن يكون ذو عقلية ديناميكية فاعلة ومنفعلة، غير متعصبة لا برأيها، بشكل قسري، ولا لغيرها بشكل ميكانيكي، والرسائل بمجملها تشكل البرنامج السياسي-التثقيفي لمختلف الأعضاء والكوادر فقد رتبته هذه الرسائل على أساس التدرج في التنشئة للمستجيبين إلى دعوتهم فهي لا يمكن تدريسها إلا لمن دخل في التنظيم السياسي لهم، أما المرشحون للعضوية فغنهم يدرسون الشريعة في مرحلة الاختبار والتفرس في إمكانياتهم للتحقق من صلاحيتهم وتهيئتهم للانضمام ^(٢).

والعضو إذا أتم دراسة الرسائل على الترتيب /وقد بينوا هذا الترتيب في أكثر من مكان في رسائلهم/ أمكنه الاطلاع على الرسالة الجامعة وعندها يصبح في المرحلة الرابعة (مكتب سياسي) كما أشرنا من قبل، أي له الحق في الاطلاع على الأسرار والمعاني الباطنية ^(٣) لمجمل الحركة وله الحق في رسم سياسة تلك المنطقة.

إن هذه التنشئة والإعداد الحزبي لحركة إخوان الصفا كانت تسير بخط ثابت وحثيث رغم الظروف السرية التي كانوا يعيشونها فهم يوضحون الهدف السياسي لأعضائهم خلال هذه التنشئة وعبر كل مراحلها محددين رؤيتهم للصراع السياسي القائم على النحو التالي: فهذا حكم أهل الزمان في دولة الخير، ودولة الشر، فتارة تكون القوة والدولة وظهور الأفعال في العالم لأهل الخير، وتارة تكون القوة والدولة وظهور الأفعال لأهل الشر ^(٤).

فهذه الطبيعة المتناقضة في تركيبة المجتمع قد أدركها الإخوان بشكل دياكتيكي ضمن رؤيتهم الميتافيزيقية محددين بـ (دولة أهل الخير المتناقضة مع دولة أهل الشر).

وضمن هذه المفاهيم السياسية يحدد (إخوان الصفا) حالة العصر التي هم فيها ويسعون لتغييرها من خلال عملية إعداد الكادر تلك موضحين لهذا الكادر المهمات المطلوبة وهي عملية التغيير السياسي في المجتمع فاللوحة السياسية في نظر إخوان الصفا تحدد بما يلي:

وقد ترون أيها الإخوان أيديكم الله وإيانا بروح منه، أنه قد تناهت قوة أهل الشر، وكثرت أفعالهم في العالم في هذا الزمن، وليس بعد التناهي في الزيادة إلا الانحطاط والنقصان، واعلم

(١) يربط الإخوان هذه العملية بعملية عشق المجنون لـ ليلي بقوله «أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى، ليدلوا على عملية الاكتساب الجديد للمعارف» فصادف قلباً فارغاً فتمكنا، المرجع السابق ١١٤/٤

(٢) د. حجاب المرجع السابق ص ١٣٢

(٣) الرسالة الجامعة ١٥٣/ ١٥١ والجزء الثاني منها ص ٣٧٠-٣٧١ وغيرها من المواضع والرسائل ٢٢٣/٤-٢٢٤

(٤) الرسائل ٢٣٥-٢٣٤/٤

أن الملك والدولة ينتقلان في كل دهر وزمان، ودور وقرآن من أمة إلى أمة، ومن أهل بيت إلى أهل بيت ومن أهل بلد إلى أهل بلد واعلموا -انظر صفة التوكيد في لغة الفعل- إن دولة أهل الخير يبدأ أولها من أقوام خيار فضلاء يجتمعون في بلد، ويتفقون على رأي واحد وين واحد ومذهب واحد، ويعقدون بينهم عهداً وميثاقاً بأنهم يتناصرون ولا يتخاذلون ويتعاونون ولا يتقاعدون عن نصرة بعضهم بعضاً، يكونون كرجل واحد في جميع أمورهم وكنفس واحدة في جميع تدابيرهم، وفيما يقصدون من نصرة الدين وطلب الآخرة، لا يعتقدون سوى رحمة الله ورضوانه عوضاً^(١). فالنص يكشف لنا ما يبتغونه من كادرهم إزاء أحداث المجتمع وما يبغون التوصل إليه من خلاله أي بنا دولة أهل الخير والتي تبدأ بهم أخيار وفضلاء هذا النعت الذي يركزون عليه في تقسيمهم الحزبي وهو ما يمثل المرتبة الثانية عندهم^(٢) وهو ما يمثل -أي النص- البعد الاستراتيجي لقيام دولتهم تلك، التي ينشدونها فيجب على هذا الكادر أن يكون كرجل واحد ونفس واحدة، أي أنهم هنا وضعوا شرطاً هاماً للالتزام اسمه (المركزية) في اتخاذ القرار وتطبيقه، فهم يجب أن يتفقوا على رأي واحد ودين واحد ومذهب واحد وهذا التوكيد، يعني باصطلاحنا السياسي المعاصر، الإيديولوجية السياسية-الواحدة وليس ذلك فقط فالقراءة التحتية للنص تشير إلى وجود القيادة الجماعية في العمل يكونوا كرجل واحد وكنفس واحدة فهذا دليل ما بعده دليل على جماعية العمل وانصهار الفرد بالجماعة^(٣).

الكادر ومقوماته:

في الصفحات السابقة أشرنا إلى الغاية والهدف الذي يرمي إليه إخوان الصفا في تنشئة الأعضاء وبنفس الوقت أشرنا إلى ظروف عصرهم السياسية، وكيف يظهمونها كما ألحنا في فصول سابقة إلى رؤيتهم نحو بناء مجتمعهم الذي يريدون أي المدينة الفاضلة بتعبير آخر. وهم أشاروا في أكثر موضع في رسائلهم إلى سمات وخصوصيات أبناء هذه المدينة الفاضلة، منطلقين من أنفسهم في التشخيص كقدوة لغيرهم بغية تكامل خلق هذا المجتمع فهم يرون في كادرهم، عدة خصال يجب توفرها كي يقتدي فيه الناس الآخرون، وينتظروا في الصفوف، فهم يؤكدون على هذا الكادر بالخطاب الموجه والمباشر له: إن خطابنا لا يكون إلا مع أقوام علماء فضلاء، ما رسوا إخوان الصفاء ورسخوا في العلم، وارتاضوا بالرياضيات الحكيمة المقرونة بأسرار الكتب الإلهية وإشارات الأنبياء عليهم السلام^(٤) وليس ذلك فقط، بل يجب أن يكون الإخوان علومهم حكيمة وأدابهم نبوية وسيرتهم ملكية ولذا أنهم روحانية، وهمهم إلهية -يأمرون بالعرف

(١) السراية ٤٨ - السابعة من العلوم الناموسية الشرعية -الرسائل ٢٣٥/٤

(٢) السراية ٤٥ - السابعة من العلوم الناموسية الشرعية -الرسائل ١١٩/٤

(٣) التشديد على الجمل والعبارات من قبلنا في كل النصوص للأهمية

(٤) الرسالة ٣٠ السادسة عشر من الجسمانيات الطبيعيات الرسائل ٩٢/٣

وينهون عن المنكر، بعضهم أولياء بعض^(١) لأنهم يهدفون من وراء تلك الخصال بناء الكادر النموذجي الذي ستبني عليه تلك المدينة الفاضلة فمجتمع هذه المدينة الفاضلة يجب أن يكون الفرد فيه عالماً خبيراً، فاضلاً ذكياً، مستبصراً، فارسي النسب^(٢) العربي الدين، الحنفي المذهب العراقي الآداب، العبراني المخبر، المسيحي المنهج، الشامي النسك، اليوناني العلوم، الهندي البصيرة، الصوفي السيرة، الملكي الأخلاق، الرياني الرأي، الإلهي المعارف الحمداني^(٣) فعملية الإعداد الحزبي هنا تخضع إلى بناء الكادر روحياً وفق ما يرسمون وتنشئة تتم عبر الصقل المتواصل داخل التنظيم، وبمختلف المواقع التي يكون فيها.

بحيث يكون فعلاً مستوى طرحهم الأنف الذكر، ذو البعد الإنساني لذلك كانوا يشددون كثيراً على البناء الروحي للعضو العامل في كيانه، بحيث يصبح هذا الكادر قادراً على وضع شريعة يسير بها ذاته والركب الذي معه في أي بيئة يكون فيها أو بلد ينزله ويجب أن تتوفر في هذا الكادر اثنا عشر خصلة قد فطر عليها، إحداها أن يكون تام الأعضاء قوية قوائمه على الأعمال التي من شأنها أن تكون بها ومنها، ومتى هم أن يقضي عملاً أتى به بسهولة. والثاني أن يكون جيد الفهم سريع التصور لكل ما يقال له ويلقاه لفهمه على ما يقصد: القائل له على حسب الأمر في نفسه.

والثالث: أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما يسمعه ولما يذكره، وبالجمل لا يكاد ينسى شيئاً منها.

والرابع: أن يكون فطناً ذكياً ذا رأي يكفيه لتبيان أدنى دليل حتى إذا رأى على شيء، أدنى دليل فطن له على الجهة التي يدل عليها الدليل.

والخامس: أن يكون حسن العبادة يؤاثره لسانه على ما في قلبه وضميره بأوجز الألفاظ. والسادس: أن يكون محباً للعلم والاستفادة، منقاداً له سهل القبول لا يؤله تعب العلم ولا يؤذيه الكد الذي يلحقه.

والسابع: أن يكون محباً للصدق وحسن المعاملة مقرباً لأهله.

والثامن: أن يكون غير شره في الأكل والشرب والنكاح متجنباً للعب مبعوضاً للذات الكائنة على هذه.

والتاسع: أن يكون كبير النفس، عالي الهمة، محباً للكرامة، تكبر نفسه بالطبع عن كل ما يشين من الأمور ويشنع، وتسمو همة نفسه إلى أرفع الأمور رتبة وأعلاها درجة.

والعاشر: أن يكون الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هينة عنده زاهداً فيها.

والحاد عشر: أن يكون محباً للعدل وأهله، مبغضاً لل جور والظلم، وأهله يعطي النصفة

(١) نفس المرجع

(٢) كذاوردت في النص وهو مستغرب من إخان الصفا أن يشترطوا النسب الفارسي

(٣) الرسالة ٢٢ الثامنة من من الجسمانيات الطبيعية الرسائل ٣١٦/٢

لأهلها ويرثي لمن حل به الجور ويكون موافياً لكل ما يرى حسناً جميلاً عدلاً صعب القياد ولا جموح وإن دعي إلى الجور والقبيح لا يجيب.

والثاني عشر: أن يكون قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل جسوراً مقداماً غير خائف ولا ضعيف النفس^(١).

وهذه الخصال هي النموذجية التي يسعون إليها، وهم يثبتونها للإمام -الرئيس إلا أنهم وفق -نظرية الإمامة- يريدون من كل الأعضاء أن يتخلقوا بأخلاق الإمام ويؤكدون ذلك بقولهم: واعلم أن العقلاء الأخيار -أي الكادر الوسطي- في المرتبة الثانية^(٢) إذا انضاف إلى عقولهم القوة بوضع الشريعة، فليس يحتاجون إلى رئيس يرأسهم وينهاهم ويزجرهم ويحكم عليهم، لأن العقل والقدرة لواضع الناموس يقومان مقام الرئيس الإمام^(٣) لذلك ثبتوا هذه الخصال كهدف رئيس في بناء الكادر الروحي ضمن الكيان السياسي الذي يسيرون في فلكه.

ثم إنهم يطلبون من الكادر كمقومات أساسية له أن يكون ملتزماً في الوصايا التي يضعها -صاحب الشريعة- الإمام هنا التوكيد على المركزية في العمل وضمن الخط الإيديولوجي الذي ترسمه الحركة لهم، إضافة لذلك هناك مقومات أخرى يجب التحلي بها وهي..

أولاً: أن يكون لكل واحد منهم عقل يعرف به القبح وينزجر عنه، ويعرف الجميل ويأمر به.

والثاني: أن يكون لهم بواضع الشريعة قدوة في أفعاله وأقواله وآدابه ومتصرفاته.

والثالث: أن يكون مع كل واحد مهم وصية من واضع الشريعة -الإمام- يدرسونها في أوقات معلومة، اجتماعات تثقيفية إيديولوجية.

والرابع: أن يكون على كل جماعة منهم رئيس من فضلائهم عارف بسنة الشريعة، يأمرهم بإقامتها، ويحثهم على حفظها وينهاهم ويزجرهم متى أرادوا تغيير سيرة الشريعة^(٤).

فهذه الشروط تعني الالتزام الحزبي بعقد الاجتماعات المنتظمة وممارسة النقد والنقد الذاتي، ومحاربة الانحراف والقضاء عليه والخضوع لمركزية السكرتير -الرئيس- العارف بقوانين النظرية -الشريعة- وتلك الوصايا الأربع شرط للالتزام.

مهمات الكادر وشروط المفاضلة:

بعد أن اشرنا إلى مقومات الكادر النظرية والسياسية علينا أن نفهم مهماته وحقوقه وواجباته..

يأتي بالدرجة الأولى أن يكون الكادر، طالب علم في بداياته الأولى وحسن الأخلاق طالباً

(١) الرسالة ٤٧ - السادسة من العلوم الناموسية والشرعية- الرسائل ١٨٢/٤ - ١٨٣

(٢) انظر الرسالة ٤٥ - السابعة من العلوم الناموسية والشرعية الرسائل ١١٩/٤

(٣) الرسالة ٤٧ - السادسة من العلوم الناموسية والشرعية- الرسائل ١٨٢/٤

(٤) نفس المرجع السابق

للحق، وأن لا يتعصب لمذهب من المذاهب^(١) تلك التوصيات هي مهمات على الكادر أن يسعى إلى تحقيقها في مسار حياته اليومي فهو يخضع إلى مراقبة جهازه الحزبي الصارم، الدقيق. فقد أوضحت الرسائل في أكثر من مكان طبيعة تلك المهمات، وهي التي وصلت إلى الكادر بصيغة الوصايا، وهي ما اصطلحنا عليه بالنشرات الداخلية فعلى سبيل المثال يقولون:

واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروج منه بأن طالب العلم يحتاج إلى سبع خصال.. أولها: السؤال والصمت، ثم الاستماع، ثم التفكير، ثم العمل به، ثم طلب الصدق من نفسه ثم كثرة الذكر أنه من نعم الله ثم ترك الإعجاب بالنفس^(٢) فهنا اشترطوا كواجب حزبي على الكادر أن ينفذه بإبداع لأن مقتضيات تنظيمهم السري وبرنامجهم السياسي، المتعدد الأبواب يحتاج إلى كادر متعلم بالدرجة الأولى يستوعب هذا البرنامج وهذه النقطة -أي العلم- والتي هي مقياس لفهم الكادر الطبيعة أعماله ومهامه، وهي بذات الوقت إحدى مميزات المفاضلة في التقديم إلى المراكز العليا في الدعوة، وهي نفس الوقت مسؤولية يحاسب عليها الكادر الواعي، باعتبار أنه قد اطلع على النظرية والتساهل معه وارد في عرفهم فهم يقولون:

والجاهل اعذر من العالم،^(٣) هنا إذن عملية الحساب تأخذ بعداً معرفياً يجري سريانه على التنظيم.

والإبداع عندهم يخضع لشروط معرفية، حيث يعني الترقى إلى مصاف العلماء من خلال العلم، وهذا ما تكتشفه الرسائل حين تتطرق إلى مختلف العلوم الطبيعية والإلهية.

إضافة إلى التعالي عن التعصب لعلم دون سواه، بغض النظر إذا كان هذا العلم يخص مذهب ما أي أن الأداة المعرفية هي السبيل للولوج إلى مختلف العلوم فالعلم عندهم أجل وأشرف من أي فريضة^(٤) فعندما يكون التكليف لأحد الكوادر في مهمة ما، يجب أن يعمل فكره في فهمها، يخضعها إلى البعد المعرفي -العلمي- فالعلم كما يقولون:

هو الصاحب في الغربة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء والمقرب عند الغرباء والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخيرة قادة يهتدي بهم وأئمة في الخير تقتفي آثارهم ويوثق بأعمالهم، وينتهي إلى آرائهم^(٥) فالتوكيد هنا على الكادر لأن ينتهج طريقاً علمياً في تطبيقات عمله السياسي، لأن هناك مهمة أخطر وأكبر، وهو معد إليها ألا وهي: بناء المدينة الفاضلة.

فعملية الإبداع بالنسبة للتنظيم هي الإعداد العلمي للكوادر والإبداع عند الكادر هو استلزام

(١) الرسالة ٤٥٧- الرابعة من العلوم الناموسية والشرعية- الرسائل ١١٤/٤

(٢) الرسالة ٩ وهي التاسعة أيضاً من القسم الرياضي -الرسائل ٢٧٢/١

(٣) المصدر السابق الرسائل ٢٧٣/١

(٤) الرسالة ٩ وهي التاسعة أيضاً من القسم الرياضي -الرسائل ٢٧١/١

(٥) المصدر السابق

المهمة بشكل علمي يرتقي سياق التوجيه والإعداد من قبل التنظيم، فالوحدة العضوية بين التنظيم والعضو تكون محققة لأركانها الفكرية والتنظيمية، وعلى هدى من العلمية في التطبيق والإعداد العملي، لأن العلم إمام العمل والعلم تابعه^(١).
ثم إنهم يملون على الكادر، التخلق الحسن، وإن يكتسب أخلاقاً تتماشى وروح المبدأ الذي يسعون لتطبيقه.

والأخلاق لديهم تكتسب اكتساباً وهي أربعة أشياء، لا تفارق النفس بعدها الأجساد، وعليها أيضاً تجازي النفوس، إن خيراً أو شراً وهي: أولها الأخلاق المكتسبة المعتادة، والثاني العلوم التعليمية والثالث الآراء المعتمدة والرابع الأعمال المكتسبة بالاختبار والإرادة^(٢) وهذه الأمور هي أيضاً إحدى شروط التفاضل بالتقديم إلى المواقع العليا في الحركة فهم يريدون أن يزرعوها زرعاً في النفوس، كي يحولوها إلى قوة معنوية، تفعل فعلها في السياق الاجتماعي.
كما أنهم نهوا عن الأخلاق التي تسيء إلى سمعة أعضائهم، ووصموا تلك الأخلاق الغير جيدة بأخلاق الشياطين وأولها كبر إبليس وحرص آدم، وحسد قابيل، واعتبروا هذه الخصال، أمهات المعاصي وأصل الشرور^(٣).

فالكادر هنا متمثل لتلك التعاليم، جاهد في التخلص من السلبيات التي تسيء إلى كيانه الذاتي والسياسي.

كما رسم التنظيم طرقاً إلى هؤلاء الكوادر-الدعاة- بغية تحقيق النجاح لهم في عملهم تناثرت في «رسائلهم»^(٤) وقد أجملت بما يلي:

١. أن يتعرف خبر كل واحد من أهل دعوته صغيراً أو كبيراً ما اسمه ونسبه وعمله، وما هو بسبيله في أمر معاشه، واختبار عاداته وأخلاقه ومحاسن طبائعه وخيرها.
٢. أن يؤكد الصلات والمودة بين أتباعه، ويؤلف قلوبهم، ويوحد كلمتهم.
٣. أن يعود نفسه، أتباعه الاستهانة بالمال والنفس في سبيل الدعوة.
٤. أن يكون قدوة حسنة لأتباعه في كل شيء^(٥).
٥. العادات الحسنة تكون في جملة أفعاله ذات الصفة المستقيمة.
٦. تأدية الأمانة إلى أهلها وإن كان عدواً.
٧. الإحسان إلى الجار، وصفاء المودة إلى الصديق.
٨. الإخلاص في المحبة لمن أحبوك، مع قلة الطمع وإزالة الفرع في مستعجل زائل وحادث نازل.
٩. تريد للغير ما تريد لنفسك.

(١) ذات المصدر

(٢) المرجع السابق-الرسائل ١/٢٧٤

(٣) نفس المرجع السابق

(٤) انظر على سبيل المثال ١٨٤/٤ - ١٩٠

(٥) د. عمر دسوقي: أخوان الصفا ص ٥٨

١٠. تعود النفس على عمل الخير، دون قيد أو شرط، فمتى كان فعل الخير لطلب المكافأة لم يكن خيراً.

١١. أن لا يكون منافقاً -أي انتهازي بالمفهوم السياسي المعاصر- لأن المنافق لا يستأهل أن يكون في جوار الروحانيين^(١).

وبالجملة هذه الخصال ذات بعد اجتماعي-إصلاحي ما فتنوا يركزون عليها، منطلقين -بتقديري- من واقع الحال السائد، فاكتساب الشخصية، السياسية من خلال معرفتها بواقعها الاجتماعي فهم -أي الإخوان- يركزون على هذا الجانب كثيراً حتى أنهم يطلبون من كوادهم عكس ذلك على علاقاتهم العائلية، فيجب عليك أن تسومهم -أي الأهل- سياسة لا اختلاف فيها، تجريهم على عادة لا تعدل عنها إلا مواقع مانعة، وأسباب قاطعة لئلا ترجع باللوم على نفسك إذا جنوا عليك وتغيروا^(٢).

وضمن تلك المهام يوجبون على كادهم ذو المسؤولية في قيادة، خلية معينة أن يعي مهماته بشكل دقيق، عاقدين لذلك فصلاً (باب خاص) لفض القيادة الخلوية سموه سياسة الأصحاب، مبينين طريقتهم السياسية في ذلك قائلين:

«اعلم أيها الأخ أن سياسية الأصحاب لا تكون إلا بعد المعرفة بهم الاطلاع عليهم ومعرفة أحوالهم: أن لا يخفي عليك من أمرهم صغيرة ولا كبيرة لتسوس كل واحد منهم السياسة التي تليق به، دنيا وديناً. وأعلم أنك متى كنت جاهلاً بمعرفتهم لم تتم لك سياستهم، ولم تبلغ رضاهم، ولا يكونوا لك أصحاباً»^(٣) فهما اشتراطوا المعرفة الدقيقة، النفسية، والاجتماعية في أعضائهم الذين يقودونهم حتى يحافظوا على قوة التنظيم بشكل دائم ضارين مثلاً في كادهم الأعلى -الإمام- أو ما علمت أن أصحاب الناموس لا يصاحب إلا من عرفهم وخبرهم فاطلع عليهم اطلاع الإحاطة بهم. واحرص أن تباعد بين معرفتهم بك وبينهم هنا أخذوا جانب الاحتياط فيما إذا كان هناك مندساً بين صفوفهم وهم لا يشعرون به فهذا التباعد في المعرفة له مسوغاته التنظيمية لكي لا يطلعوا عليك كما اطلعت عليهم فيأتوك من حيث آمنت لأنه ليس كل من صاحبك يحق لك أن تثق به ولا تطمئن إليه، لأن كثيراً ممن يصحب الأنبياء إنما تكون صحبتهم لهم لوقوع الحيلة بهم ومرادهم منهم الاطلاع على أسرارهم ليكتشفوها ويظهروها لمن لا يعرفها وهم المنافقون^(٤) فإشارات التنبيه واردة في النص مشيرة إلى الأهمية القصوى في سرية التنظيم الذي يسبرون به كوادهم.

وليس الأمر يقف بهذا الحد بل يجب أن تكون هناك اختيارات لمواصفات معينة إلى الذين

(١) الرسالة ٤٥ التاسعة من العلوم الناموسية والشرعية -الرسائل ٢٩٧/٤-٢٩٨

(٢) المرجع السابق ٢٨٩/٤

(٣) ذات المرجع ٢٩٩/٤

(٤) نفس المرجع

يمكن أن يكون في طريقهم للصدقة، وقبل الترشيح زيادة في الحذر، والحقيقة وهم، يطبقون مقاييس على المكسوب قبل كسبه، يلتزم فيها الكادر نصحاً وروحاً، لأنها إحدى مقومات العمل التنظيمي وشروطه لديهم إضافة إلى أسلوب الداعي في توجيه الخطاب نصاً وروحاً لأنها إحدى مقومات العمل التنظيمي وشروطه لديهم إضافة إلى أسلوب الإداري في توجيه الخطاب ومراعاة ردود الفعل في هذا الخطاب على نفس المتلقي، ومن ثم البدء في عملية الصدقة بغية الوصول إلى قلب هؤلاء وعقولهم وبعبارة أخرى أي وجود الإيمان بالانتماء فهم يؤكدون:

«ويكون الداعي يراعي أهل الذكاء والفتنة ومن يقصد الأغراض التي يريدها بكلامه ويومئ بها في إشارات ومخبات جواهره في تقاطيع أمثاله ونوادره»، انظر هنا كيف يُعززون إلى الكادر بتطبيق علم النفس في لهجة الخطاب وأسلوبه، إضافة إلى استخدام عنصر آخر يشد الانتباه ألا وهو استخدام الرمز والإشارات التي تخدم الموضوع الذي يتحدث به الكادر ومن ثم التوقف بين استرسال وآخر بالحديث في استخدام النادرة والمثل، وهو أسلوب متطور في فن الخطابة أثبت فاعليته في عصرنا الحالي.

ثم يضيفون ميزة أخرى على أسلوب الداعي وهي:

فإن عرفهم ميزهم بنظره، وألقى القول إليهم في الاعتماد عليهم في تهذيب من دونهم حتى يوصلوهم على مثل ما وصلوا إليه ^(١) وهذا التوجيه يملئ على الكادر الالتزام، فهو ذو بعد مركزي واضح واجب الانصياع له.

وفي ختام هذا التوجيه يطلب الإخوان إلى كوادرهم تطبيق أمور الشريعة معهم فإذا أحكمت هذه السياسة في الأصحاب والأهل، الأقرب فالأقرب، والأبعد فالأبعد، فاحكم أمر العباداة والقربان المقربة إلى الله سبحانه والأعمال المزلفة لديهم ^(٢) والذي نعرفه عن أعمال الدعاة -الكوادر- إن طرقهم كانت تؤدي إلى الغرض المطلوب إلا ما ندر في الأحياء وإن بذورهم وإن بذورهم كانت تقع في أراضٍ طيبة ^(٣) وأنه يكن ليضرهم إن وقعت في أرض سبخة لأنهم كانوا دائماً على حذر مما يقولون ويفعلون وممن كانوا يخاطبون حتى إذا راوا منهم إعراضاً عن كلامهم، أو تفرسوا فيهم الخيانة وعدم الإخلاص للدعوة كانوا يحجمون عن الكلام، أو يغيرون موضوعه ويدخلون في موضوع جديد، لا علاقة له بالدعوى، ولا خطر عليهم منه، وهؤلاء الدعاة يكونوا يطرقون في أحاديثهم الأولى مع المبتدئين إلا المواضيع العامة التي كان يقصد التعرف بنفسية وعقلية المستقبلين على الدعوة -الأصدقاء- وإثارة الرغبة فيهم إلى الدخول في دعوتهم ^(٤).

إن عملية قبول المدعو الجديد تستوجب من الكادر الامتنال إلى شروط القبول التي سنوها في هذا الباب.

(١) المرجع السابق ٣٠٠/٤

(٢) ذات المرجع

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٨٣

(٤) بندلي جوزي: من تاريخ الحركات الفكرية من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ص/١٢٧

وقد وصل إلينا من بعض هذه الشروط أو التعليمات التي كان يطبقها دعاة الدعوة الفاطمية، فقد جاء في الوثيقة التي تكتب لداعي الدعوة الفاطمي عند تولية ما يحدد مهمته جاء فيها: «وخذ العهد على كل مستجيب راغب، وشد العقد على كل منقاد طاهر، ممن يظهر لك إخلاصه ويقينه عند عفافه ودينه، وحضهم على الوفاء بما تعاهدتم عليه.. ولا تلق الوديعة إلا لحفاظ الودائع، ولا تلق الحب إلا في مزرعة لا تكدي على الزارع، وتوخ لغرسك أجل المغارس، وصن أسرار الحكم إلا عن أهلها، ولا تبدلها إلا لمستحقها، ولا تكشف للمستضعفين ما يعجزون عن تحمله، ولا تستقل أفهامهم بتقبله واجمع من التبصر بين أدلة الشرائع والعقول،^(١) فهذه التعاليم تكاد تكون بمثابة القاعدة الثابتة لانطلاق هؤلاء الكوادر في كسبهم وأسلوب تحركهم في توسيع القاعدة الجماهيرية للدعوة.

درجات تقسيم الكادر ومسمياتها وصلاحياتها:

أشرنا في باب النظام الداخلي^(٢) لحركة إخوان الصفا في بحثنا هذا إلى أنهم حددوا أربع مراتب لتنظيمهم^(٣) وبها التحديد كانوا يريدون بناء كوادرهم روحياً (إيديولوجياً) للوصول إلى هذه الدرجات الأربع في المعرفة العلمية وفق سياق النظرية التي يتأدلجون بفكرها، وهذه المراتب درجات علمية بالدرجة الأولى تخضع لسن محدد وعمر سياسي محدد أشاروا إليه بوضوح^(٤) وهم بهذا التحديد فرفضوا نوع من التعليم الأكاديمي إن جاز القول، وبالدرجة الثانية، كانوا يشيرون إلى ترتيب الكادر من مراحل تقدمه ضمن سياق الحركة وإثبات جدارته فيها في سياق عمره الحزبي، وقد أوضحنا الغاية من ذلك وهنا نود أن نشير إلى التراتبية الحزبية التي سارت عليها (جمعية إخوان الصفا).

وفي البدء لابد من التنويه أن هذا الموضوع -أي التراتب الحزبي للدعاة- يدخل ضمن نطاق نظرية الإمامة عندهم ويشكل عصبها الرئيسي الذي يسير الدعوة نحو أفقها الإستراتيجي لذلك سنجتزء -هذا التراتب- من تلك النظرية لأنه أضمن للفائدة وأوجز للموضوع.

جاء في تحفة المستجيبين للداعي الإسماعيلي أبو يعقوب اسحق السجستاني^(٥) شرح واف لفهم حركة الإسماعيلية ومنظورها الباطني إلى المسميات الجسمانية أو ما يطلقون عليه تسمية الحدود الجسمانية ويحددها بسبعة حدود^(٦) يذكرها بالتفصيل بدءاً من الرسول ويسمونه

(١) صبح الأعشى في كتابه الإنشاء ٤٣٦-٤٣٩ وانظر كذلك د. عمر دسوقي (إخوان الصفا) حيث أغلب هذه التعاليم ص ١٠٧-١٠٨ والمتتبع لتعاليم (إخوان الصفا) يلاحظ الشبه المتقارب في هذه الصيغ انظر الرسالة ٤٥- الرابعة من العلوم الناموسية والشرعية -١١١-١٠٧/٤

(٢) راجع ص ٢-١ من هذا البحث

(٣) راجع الرسالة ٤٥- الرابعة من العلوم الناموسية والشرعية ١١٩/٤ - ١٢٠

(٤) المرجع السابق

(٥) انظر ثلاث رسائل إسماعيلية الرسالة الأولى تحقيق د. عارف تامر -كان هذا الداعي- داعياً مطلقاً للإسماعيلية في إقليم بخارى بفارس في منتصف القرن الثالث الهجري وقد ظهر أثر هذا الداعي في تلميذه الفذ حميد الدين الكرمان الداعي المشهور انظر ص ٧-٩ من المصدر المذكور ثلاث رسائل في ترجمة الرسالة تحفة المستجيبين ومؤلفها دار الأفاق الجديدة - بيروت ط١ - ١٩٨٣

(٦) المرجع السابق الصفحات من ص ١٦- ١٨

(الناطق)، ثم الوصي ويسمونه (الأساس)، إلى أن يصل من هذا الأساس وهو علي بن أبي طالب فتبدأ دورته ستة ستة من الأئمة وهم:

علي، الحسين، علي زين العابدين، محمد الباقر، جعفر الصادق، إسماعيل فلما بلغ الأمر إلى الإمام السابع وهو محمد بن إسماعيل ارتقى من مرتبة القائمين وجعل الوعد إلى شروق الأمر، وإن يستخلف بعده سبعة بسبعة من الخلفاء وعند تمام العدد يكون البروز والنشور ويلوغ النفس إلى ما أعدته الخالق لها من الثواب الجزيل^(١).

فهؤلاء السبعة هم الأئمة النطقاء في الترتيب الإسماعيلي يدخلون ضمن (الحدود الجسمانية)..^(٢)

ونحن هنا سنبتدأ من الإمام لنوضح التراتب التنظيمي للكوادر وفق هرمية التنظيم، بدءاً من القيادة ونزلاً إلى القاعدة وحسب ما وجدناه عنهم.

١. الإمام: من الحدود الجسمانية ويقال له المتمم ومعنى المتمم بالأئمة تتم أدوار النطقاء على أن لكل متم حظه ونصيبه من دور ناطقه إلى أن يبلغ الأمر من الأول إلى الثاني ومن الثاني إلى الثالث إلى تمام السادس إلى السابع وهو الذي يرتقي من مرتبة الإمامة إلى القائمية ليكون سابعاً وعلى هذا الأساس منه أولياء وأوصياء .

٢. الحجة: ويأتي بعد الإمام

ويقال له لاحق ومعنى اسم الحجة هو أن الإمام لا يمكن أن يقيم حجته على أهل زمانه من نفسه وذلك لطول الأرض وعرضها فقسم الأرض بأقسام الفلك على اثنتي عشرة جزيرة، بلد- بإزاء كل برج من أبراج السماء وسبعة أقاليم إزاء السبعة أفلاك فجعل كل إقليم حجة، وفي كل جزيرة لاحق ليدعو الخلق إلى دين الله، وتكون حجته على الخلق قائمة^(٣).

٣. اللاحق:

ومعنى اللاحق مشتق من اللحق ولما كان التأييد إذا جرى مجرى الخصوص لا يتعدى من واحد في كل زمان لتكون رئاسة العلم خالصة لذلك الواحد ولم يمكنه إقامة الحجة على الخلق بنفسه، لطول الأرض وعرضها فأمر بتنصيب اللواحق في الجزائر، ولكل لاحق منهم خليفة -ظل احتياط- له قسماً من تأييده ليمكنه بقوته وسياسته في جزيرته فهو لاحق به، ويقال للجماعة لواحق، كما يقال للإمام والحجة بلفظة واحدة الفرعان^(٤) ومعنى ذلك عندهم أن الإمام والحجة فرعان من الأصلين قاما في العالم الجسماني مقام الأساسين وفي العالم الروحاني مقام الأصلين^(٥).

(١) نفس المرجع ص ١٨

(٢) المرجع السابق ص ١٨

(٣) نفس المرجع ص ١٩

(٤) ذات المرجع

٤. اليد

ومعنى اليد ان كل لاحق لابد له من واحد يعتمد عليه ويثق به ويستقيم إليه ليقوم مقامه، ويحدث به أمر من يصلح أسبابه من قلده أمرهم فوجب من أهله أن يكون عدد الأيدي مماثلاً لعدد اللواحق^(١).

٥. الداعي:

ويقال له الجناح ومعنى الجناح وإضافته إليه أي للتسمية هو أنه معتمد على اللواحق في الدعوة لأعلى الدعاة وهم الذين يطهرون في نشر الدعوتين ظاهراً وباطناً ومرتبة الأجنحة تسليم صقع مذکور معروف على الحدود إلى واحد منهم، ويتهياً له أن ينصب من تحت يده جماعة من المأذونين صقعه وعرضه بعد أن يتوهم فيه الخير والصلاح، والصفة الأمانة^(٢) وهؤلاء هم الكوادر الأكثر خطورة في الحركة (الكوادر الوسطية) فهم عصب الدعوة وقناتها الرئيسية وعليهم يتقرر نجاح أو نكوص الدعوة فهم حلقة الوصل الفاعلة بين القاعدة والقيادة.

٦. المأذون المطلق:

وهو الذي ينصبه الجناح من نواحي صقعه ويطلقه بأن يجري الدعوة فيمن أحب من صقعه.

٧. المأذون المحدود

وهو من أذن له الإفادة لواحد أو لاثنتين أو ثلاثة أو أربعة وهو محدود في مكانه لا يتعداه إلى غيره^(٣) وعند هذا المأذون تنتهي التراتبية الحزبية في عمل الكوادر - الدعاة للحركة من الناحية التنظيمية والتي تأخذ الصفة الحزبية المطلقة، أي التي تقرر في شؤون الدعوة، في كافة الأمور وتتمتع بحقوقها وواجباتها على الصعيد العملي.

ومن الذين يدخلون في فلك الحركة المقربين جماهيرهم المسيسة في نطاق إيديولوجيتهم الفكرية والذين قد اطلعوا على بعض من تلك الأفكار وآمنوا بها مبدئياً وهم على صنفين:

الأول: يسمونه المؤمن ومن عرف صاحب زمانه باسمه ونسبه ومسكنه وبيعته ووقف على مجاري الأدوار والأكوار ومراتب الأسابيع التي تلمع في كل دور وكور، ووقف على كيفية البعث والثواب والعقاب^(٤) والثاني يسمونه المستجيب وهو الذي استجاب للدعوة أي دعوة الحق عندهم وانتقاد لمعرفة التوحيد ومعرفة الحدود العلوية والسفلية ومعرفة متشابهات التنزيل والشريعة.

(١) المرجع السابق ص ١٩ ثم هناك ذو الامتصاص وهم بعض المختارين من الصفوة بتهياً لهم بصفوته (مص) ما يترجمه لسانه مما وقع من الحلاوة والدرابية مما لا يشك فيه أنه ليس بالتفكير ممكن الوصول إليه، أن صاحبه قد مص من العالم البسيط المصبة الشرعية - نفس المرجع - ويتقديري أن هذه المسألة لا تصلح في عملية اكتساب العلوم بهذه الوسيلة فالمسألة عقلية بحتة ولا تخضع لمفهوم آخر.

(٢) المرجع السابق ص ١٩

(٣) ذات المرجع

(٤) المرجع السابق ص ١٩-٢٠

وتحدد مهمة المستجيب بضرورة معرفة تلك الحدود الجسمانية أي أسماء وصفات تلك التراتبية بالمعنى لا بالعيان فهم يقولون: فإذا وقف المستجيب على هذه الأسامي وحفظها ووقف على معانيها كان التذاذه هذا مانعاً من قدح الطاعنين، وغمز الغامزين وعيب العائبين^(١) فهذا حددوا مهمات وواجبات هذا المستجيب لدعوتهم وعلى ضوء هذه القناعات التي يدركها المستجيب وعلى ضوء نشاطه ودفاعه عن الدعوة يتقرر فيما بعد مدى صلاحياته للتقدم إلى دور المؤمن.

وهكذا تجري العملية في تراتب منسق فرضوه بشكل يتماشى والرؤية الفكرية لهم، ووفق ضرورات العمل السري، فهذه الأسماء لقبت بهذا الشكل حتى لا يعرفها أهل الظاهر للحاجة لا يؤمن على الكتب من وقوعها في أيدي من لا يستحقها جعلوا للأسامي ألقاباً وكنيات ليأمنوا من وقوعها في أيدي غير المستحقين للإطلاع على علومهم كل لا يدعي أحد الوصول إليها إلا بعد دخولهم الباب سجداً^(٢) أي ضرورة الحفاظ على الكيان التنظيمي لأن لهذه الألقاب معان تفرد بها الحكماء الميامين ليفرقوا بين العالم والمتعلم ويبينوا فيها فضلهم عن من هو دونهم من أهل ادوارهم المحتاجين إلى علومهم^(٣).

وهذا التراتب التنظيمي ظل سارياً بقواعده وأساليبه في مختلف ظروف الحركة الإسماعيلية حتى وصل إلى الحركة القرمطية وأخذوا به في نطاق دعوتهم في العراق والبحرين، والأماكن التي تواجدوا فيها ولكنها عندهم (أي عند القرامطة) على النحو التالي: مستجيب، مأذون، داعي، حجة، متم، وصي، ناطق^(٤).

فالدرجة السابعة وفق الترتيب التصاعدي، قليل من كان يبلغها أي الوصول إلى صفوة الإمامة آنذاك فقط يحق له الوقوف على غاية الجمعية القصوى وطرق الوصول إليها^(٥). أما الدعاة أنفسهم فلم يكونوا يبلغون إلا الدرجة الخامسة وهي الدرجة التي كان يقف الداعي فيها على بعض أسرار الجمعية بعد أن يكون قد أدى القسم، وهو في الدرجة الرابعة. ومن لم يكن يبلغ هذه الدرجة كان يبقى عضواً بسيطاً مربوطاً بإرادة غيره، وبالأخص بإرادة إمام الزمان الذي هو أعرف الناس بغايات الجمعية وأسرارها^(٦) وتطور هذا الكادر الداعي لتتطلبها

(١) المرجع السابق ص ٢٠

(٢) نفس المرجع

(٣) ذات المرجع

(٤) انظر كتاب شجرة اليقين للداعي القرمطي عبدان ص ١٣٠ تحقيق د. عارف تامر

(٥) وصاحب هذا الدور لدى القرامطة بثلاث أشياء:

١. ظهوره بالولادة أسوة بأقرانه من آيائه الأئمة الراشدين

٢. عدم ظهور خليفة في العالم باسمه ودعوته أو ينال الظفر مثله أو يظهر على الأديان كلها.

٣. ظهوره بهويته البسيطة بالبعث وإمداده صورة الأنس كلها بالتفسيخ وهي المادة المقدرة من الله للإنس جميعهم بإظهارها منه (شجرة اليقين) ص ٢٠ مرجع سابق.

(٦) راجع بهذا الخصوص -للاستزادة- بندلي جوزي من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ص ١٢٧-١٢٨

ظروف حركتهم السرية وفق المقاييس الإيديولوجية التي تحدد شروط صيرورة فكرهم السياسي الفلسفي المستمد من الشريعة الإسلامية ذاتها، أي الالتزام بطرق عبادة الشريعة وفق رؤيتهم وهي نوعان لا ثالث لهما: الأولى الشرعية الناموسية، والمحددة بإتباع صاحب الناموس والانقياد إلى أوامره ونواهيه والمصارعة إلى ما جاء به وقضاه وحكم به على من استجاب إليه وتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى بما ذكر أنه رضىه من القرايين والعبادات والطهارات والصلوات والصوم والزكاة والجهد والسعي إلى البيوت العامرة، والبقاع الطاهرة، والإقرار بكتب الله ورسله وملائكته ووحيه (أي التي هم يحددونها هنا) وما شاكل ذلك في موجبات أحكام الشرائع وإقامة النواميس والامتثال للأوامر والنظر إلى أفعال النبي (ص) والافتداء بأفعاله والتشبه به في جميع أفعاله^(١). وأما العبادة التي يطلبونها من كادرهم فهي العبادة الفلسفية الإلهية^(٢) فهذا الاعتراف بأحكام الشريعة وقوانينها وطقوسها يصبح اعترافاً ظاهرياً شكلياً لأنه خاضع -آخر الأمر- للتأويل الباطني الذي يختص به الراسخون في العلم^(٣) وهم بهذا يؤكدون على شروط الطاعة الواعية النابعة من إيديولوجيتهم ووفق شروط التزامها، ساعين بنفس الوقت إلى خلق الإنسان النموذجي (النبي) والافتداء بأفعاله والتشبه به إضافة إلى ذلك، النظر -أي التفرس- بالعلوم الفلسفية والإقرار بما يفرضونه من كتب وإرشادات يوضحونها^(٤) ثم أنهم ينبهون كادرهم إلى ضرورة الالتزام بالبرنامج التثقيفي وفي مراحل تطور هذا الكادر، أي أن الرسائل هي التوكيد الدائم -كبرنامج عمل- للرجوع إليها في تنفيذ المهام السياسية وهم يوضحون ذلك بقولهم:

اعلم أيها الأخ البار الرحيم، أيدك الله وإيانا بروح منه، إنا قد جعلنا في كل رسالة من رسائلنا فصلاً جعلناه من لبها وخالصها إذا وفق له من فهمه وعمل به نال السعادة في الدنيا والآخرة، وقد لخصنا ما قد أوردناه في رسائلنا الإحدى والخمسين^(٥) وفي رسالة مفردة عن الرسائل سمينها (الجامعة) وهي خارجة من جملة الرسائل، أوردنا فيها بيان ما أخبرناه في غيرها بأخص ما أمكننا منه، فليس تكاد تجتمع رسائلنا كلها عند رجل واحد، إلا من سهل الله تعالى له ذلك، فعلمنا تلك الرسالة لتتوب عن أخواتها، غير أن الأصوب والأجود عندنا، أن تقرأ الرسالة الجامعة إلا بعد قراءة رسائلنا الإحدى والخمسين.

فإنه إذا قرأها بعد قراءة هذه كثر نفعه وانتفع عليه ما انغلق من رسائلنا وإن وجدها وفاته الرسائل أو بعضها لم يخل من فوائدها^(٦).

(١) الرسالة ٥٠- وهي التاسعة من العلوم الناموسية والشرعية الرسائل ٣٠١/٤ وما بعدها

(٢) نفس المرجع السابق

(٣) النزعات المادية ٣٦٩/٢- وكذلك الرسائل ٨٧/٣

(٤) المرجع السابق وهم يشيرون على سبيل المثال إلى مراجعة صور الرسالة الجامعة بغية معرفة ما يريدون أن يتوصل إليه هؤلاء الدعاة وبنفس الوقت- تنفيذ للالتزام للرسائل ٣٠١/٤

(٥) مجموع الرسائل ٥٢ رسالة- حيث أن هذا الرقم أي الرسالة ٥٢ تحمل اسم في ماهية السحر والعزائم والعين وهي الحادية عشرة من العلوم الناموسية والشرعية- انظر الرسائل ٣٢٠/٤ وهي آخر رسالة في رسائلهم.

(٦) نفس المرجع الرسالة ٥٠- الرسائل ٢٩٠/٤

فهذه الاشتراطات التوجيهية تلزم الأعضاء تكتيكياً بقراءة الرسائل واستراتيجياً بقراءة الرسالة الجامعة، إضافة إلى أنهم أعطوا الخصوصية الاستراتيجية إلى الكادر المتقدم وهو الذي سهل الله عليه- واحتفظ بالرسالة الجامعة فهذه إشارة احترازية ليس من السهل الوصول إليها إلا بعد تراتبية حزبية تؤهل الكادر للوصول إلى تلك الإستراتيجية والمشاركة بصياغتها وهو ما كان يرمون إليه في خلق وإعداد هذا الكادر.

العقوبات الحزبية

قد نتفاجئ فيما نسمع كلمة (عقوبة) ولكن الأمر قد يسهل عندما نعرف مسوغاتها الاجتماعية وفق العرف الموجب لها لذلك فمن غير المنطقي لأي حركة سياسية تجد قواعد عمل لها دون انضباط داخلي يحافظ على ديمومة هذه الحركة وفق أي ظرف تعيشه.

فحركة سياسية مثل حركة إخوان الصفات معنية قبل غيرها في إيجاد تلك الضوابط لاسيما وأنها كانت تضم بين دفتيها من مختلف الفئات الاجتماعية ولو عدنا إلى صيغة القسم الذي كان يؤخذ على الدعاة والأعضاء الجدد^(١) المنظمين للحركة، لاستدركنا بعده الإيديولوجي-الديني والمتضمن إلزام العضو بالتمسك بسنن الشريعة الإسلامية ذات المضمون الروحي، فبداية القسم توحى بالترهيب قبل الترغيب، جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسله، وما أخذ الله تعالى من النبيين من عهد وميثاق^(٢).

ومن هذا المنظور الديني نفسه، أوجدوا ضوابط روحانية تهدف إلى خدمة هدفهم السياسي وبالتالي تحافظ على تماسك وحدتهم الداخلية في إطارها التنظيمي.

والعقوبة إجراء انضباطي تسعى إليه الحركة السياسية وفق ظروفها، وهي تحدد أنواع العقوبات في نظامها الداخلي، المقرر بالإجماع فلا يصح تجاوزه ولا يصح أيضاً تخطيه، وفق ما مثبت في بنوده.

وإخوان الصفا كهيئة سياسية-إيديولوجية عليا في الحركة الإسماعيلية قد تضمنت بنود قسمها، بعضاً من هذه الضوابط أو ما يعرف في الشريعة الإسلامية بالحدود، فقد جاءت بعض فقرات نص القسم دالة على تلك الحدود في حالة مخالفة العضو لأي بند من بنود القسم أي العضوية.

ومنها مثلاً «ولا تخون الإمام وأوليائه وأهل دعوته في أنفسهم ولا في أموالهم وإنك لا تتأول في هذه الإيمان تأويلاً ولا تعتقد ما يحلها وإنك إن فعلت شيئاً من ذلك فأنت بريء من الله ورسوله وملائكته ومن جميع ما أنزل الله تعالى من كتبه وإنك إن خالفت في شيء مما

(١) راجع ص ١٥-١٦ من بحثنا هذا

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٨٨

ذكرناه لك فله عليك أن تحج إلى بيته مائة حجة ماشياً نذراً واجباً وكل ما تملكه في الوقت الذي فيه صدقة على الفقراء والمساكين وكل مملوك يكون في ملكك يوم تخالف فيه أو بعده يكون حراً وكل امرأة لك الآن أو يوم مخالفتك أو تتزوجها بعد ذلك، تكون طالقاً منك ثلاث طلقات، والله تعالى الشاهد على نيتك وعقد ضميرك فيما حلفت به»^(١).

تلك هي الحدود التي تحكم تعاملهم داخلياً في عملهم السياسي والحقيقة أن هذه الحدود تخضع في حال تطبيقها إلى ما يعرف اليوم بالخيانة العظمى أي أن خائن المبادئ لديهم بريء من الله ورسوله أو بمعنى آخر على حد عرفهم قد برئ من الإسلام قطعاً، أو بمعنى ثالث مرتد وتلك هي حدود عقوبة الارتداد وفي حالة العودة إلى الصواب فلا بد من دفع كفارة عقوبة كان يحج المخالف مئة حجة سيراً على الأقدام إلى بيت الله الحرام، إضافة إلى الكفارات الأخرى ويبدو من هنا أن الوازع الديني هو الأساس في فرض هذه الحدود.

وكما قلنا فإن الإقرار بالقسم كاملاً معناه القبول التام لتلك الحدود التي أوردتها النص، وبالتالي تصبح هذه الحدود ضوابط أساسية يتعامل بها مجمل التنظيم وهي بنفس الوقت قرار جماعي قبله الأعضاء في الحركة بوعي تام، وإدراك مطلق لدولاته القانونية الشرعية.

ولو تساءلنا عن مقدار خطورة تلك الحدود في حال تطبيقها لخلافاتهم والتي تنشأ قطعاً في سياق العمل، لأيقنا بأنه من المستحيل للتنظيم أن يتطور وتتسع قاعدته الجماهيرية فالخطأ وارد في كل عمل والإخفاق جائز هو الآخر في ذلك السياق فالديناميكية في تفكيرهم كانت عاملاً مساعداً لتجاوز الأخطاء.

ومن يتتبع مسار حركة إخوان الصفا يقف مندهشاً لتلك التطورات التي حصلت عليها من ناحيتي الكم والكيف وما (الرسائل) وما فيها من أفكار ومبادئ إلا دليلاً على اتساع تلك الحركة وتناميها الجماهيرية وثمة أمر آخر يؤكد قوة نفوذها في أوساط مختلف الطبقات الاجتماعية هو تعرض أفكار هذه الحركة إلى شتى النعوت والقدح من قبل السلفيين، والتابعين لسلطة الخلافة العباسية أو بتعبير آخر هناك مؤسسة مضادة لهم رسمية يمتلك كل مقومات الدعاية والتحريض، تناصبهم العداء الإيديولوجي وتسعى جاهدة إلى خلق هوة أو فجوة في أوساطهم بغية أن تشكل حركة التنظيم الأخذة بالتصاعد والنمو لذلك انتبه إخوان الصفا لخطورة هذا الموقف وعالجوه بدراية وحكمة فوَّت الفرصة على أعدائهم من جهة ومن جهة أخرى حافظوا على تماسك التنظيم ووحدته وذلك بالرجوع إلى مقوم أساسي في نطاق حياتهم العامة ووجودهم الإنساني ألا وهو: العقل وهذه الملكة إحدى الأركان الأساسية التي قامت عليها فلسفتهم ونظرية الفيض عندهم وهذه الملكة تمثل فيصلاً في الحكم على الأشياء رغم تفاوت درجات إدراكها من إنسان لآخر ولكن بشكل عام تظهر ميزة هذه الملكة بسلوك الإنسان اليومي مع أبناء جنسه

فرحان عقل كل عالم أو أديب أو حكيم يتبين فيه ويعرف منه في حسن كلامه وتحصيل أقاويله وجودة تأديبه وحسن عشرته مع أبناء جنسه، ما لم يدع مالا يحسنه أو ينكر فضل غيره ورجحان عقل كل صانع وصاحب حرفة يتبين فيه ويعرف منه في محكمات صنعته وحسن عشرته مع أبناء جنسه ما لم يتعاط مالا يحسنه أو يتكلف ما ليس في صناعته^(١).

وهم عندما ينطلقون في أحكامهم للعقل إنما يؤكدون موقفاً معرفياً استندوا عليه في فهمهم للأشياء والطبيعة وأكدوه في مسلك منهاجهم العلمي فالأشياء الأولية التي هي بمثابة بديهيات في أوائل العقول كالفرضيات الهندسية وغيرها^(٢) يستندون إلى المعرفة بها لغرض عكس نتائجها على الحياة العملية في فهمهم السياسي أي أن حاصل المعرفة العقلي في العلوم لديهم يجب أن يستفاد منها في تطبيق المنهج السياسي الوارد بالرسائل فهم يقولون:

«واعلم أن حكم العقل هو الذي يتساوى فيه العقلاء وكلهم لم يتفقوا على أن خارج العالم جسم آخر لأن الحس جسم مخلوق وكل مخلوق ذو نهاية في أولية العقل، وهذه النهاية تعني تطور المادة بالشكل الحلزوني أي أخضعوا قانونية وجودهم السياسي إلى الأسس المعرفية وفق قانون المتضادات^(٣) وهذا الموقف العلمي من النظر للأشياء من زاوية العقل كان بمثابة رديئة صلدة وقتهم من الانزلاق في المواقف المتطرفة على صعيدي الدين والسياسة، ثم يجب أن لا ننسى بأن العقل في نظريتهم الفلسفية كان حجر الزاوية فيها فكيف لا يخضعون حياتهم السياسية لمبدأ العقل، وهو الذي يعطوه أسبقية الشرف على النفس لذلك، صارت معرفة النفس بالأشياء التي دونها في الشرف بطريق الحواس والتي هي المباشرة والمتماسمة والمخالطة والإحاطة وما كان أشرف منها وأعلى فصارت معرفتها له بطريق البرهان الذي يضطر العقول إلى الإقرار به لأن نسبة العقل إلى النفس كنسبة الضوء من البصر وكنسبة المرأة إلى الناظر فيها فكما أن البصر لا يرى شيئاً من الأشياء إلا بالضوء كالإنسان لا يرى وجهه إلا بالمرأة والنظر فيها كذلك النفس لا تنظر ذاتها إلا بنور العقل ولا تعرف حقائق الموجودات إلا بالنظر إلى «العقل»^(٤) فهم اذن أولى بتطبيق تمحيصات العقل الذي يسير نظامهم الفلسفي على واقعهم السياسي وهو ما كان الرابع الهجري يشدد لهم بذلك».

فهذا التوكيد أعطى لكل أعضاء الحركة الرجوع إلى عقله بالذات لمعالجة أي أمر ينشأ وبالتالي أن تحكيم هذه الملكة الخلاقة في أفعال النفس يعني إدراك لمسؤولية الفعل الذاتي ونتائجه وتعبير معاصر يمكن القول النقد الذاتي هو أحد المبادئ الأساسية لمعالجة (إخوان الصفا) لوضعهم التنظيمي وفي هذا يقولون:

(١) الرسالة ٤٢- الأولى العلوم الناموسية الإلهية والشرعية- الرسائل ٣/٣٩٧

(٢) الرسالة ١٤ من القسم الرياضي الرسائل ١/٣٥١

(٣) راجع بهذا الصدد الرسالة ١٦ الثانية من الجسمانيات الطبيعيات- الرسائل ٢/٢٥-٢٦

(٤) انظر الرسالة ٢٤- العاشرة من الطبيعيات- الرسائل ٢/٣٥١

واعلم أنه ما من جماعة تجتمع على أمر من أمور الدين والدنيا، وتريد أن يجري أمرها على السداد وتكون سيرتها على الرشاد إلا ولا بد لها من رئيس يرأسها ليجمع شملها ويحفظ نظام أمرها، ويراعي تصرف أحوالها ويرم^(١) على الانتشار جماعتها ويمنع من الفساد صلاحها^(٢) وهذه الأمور هي مقاييس يجب مراعاتها في ذلك الرئيس بغية أن يكون حكمه وتحكيمه في اتساق وتفكير الجماعة على ضوء مصلحة التنظيم الذي وحد هؤلاء في كيان مستقل.

وإذا فهمنا بالرئيس هو العلاقة المتبادلة بين الفرد والتاريخ أو القائد والتنظيم أدركنا مدى الخطورة في هذه العلاقة باعتبار أنها تشكل نظاماً يربط بين الوجود المادي للإنسان وبين الزمن الذي يقوّن وجوده بحركته المتغيرة دائماً لفهمنا لماذا أكد (إخوان الصفا) على هذا العقل فهم يرون فيه هو ذلك الرئيس الواجب الطاعة فيه قرروا وبه فعلوا وبناتج حكمه أخذوا وإليه احتكموا وعنه قالوا: ونحن قد رضينا بالرئيس على جماعة إخواننا والحكم بيننا العقل الذي جعله الله تعالى رئيساً على الفضلاء من خلقه والذين هم تحت الأمر والنهي ورضينا بموجبات قضاياه على الشرائط التي ذكرناها في رسائلنا وأوصينا بها إخواننا^(٣).

هنا فرضوا على كل التنظيم التمسك بهذا المبدأ لأنه ركن أساسي من أركان سياستهم المذكورة شروطها في الرسائل في البعدين التكتيكي والاستراتيجي فهم قد ثبتوا هذا المبدأ في أغلب رسائلهم إن لم نقل مجملها وبالتالي فإن البعد الفلسفي في مناهجهم السياسي يتطلب التعامل معه بالنظر العقلي لا بغيره نظراً لاحتوائه على مختلف النظريات الفلسفية والعلوم العقلية المختلفة لذا فإن العقل يمثل ناظم المسبحة الذي يجمع حبات التنظيم في خيطه، وبالتالي فإن وجوده كمبدأ داخلي في التنظيم هو مسألة مدركة وهامة كان لها فعلها في ربط الحركة من أعلاها إلى أدناها وهو بنفس الوقت إعطاء المسؤولية لكل فرد في الحركة من ممارسة دوره على الصعيد السياسي والتنظيمي أي أن تطبيق أي فعل سياسي يخضع لبعدين: الأول: يخضع للمسؤولية الجماعية في أخذ القرار ورسمه. والثاني: يخضع للمسؤولية الشخصية في تنفيذه أي أن التبادل التنظيمي بين الفرد والجماعة -العضو، التنظيم- يخضع لهذا الناظم العقلي وعلى ضوئه يجري الحساب سلباً وإيجاباً.

لذلك تخضع مسألة محاسبة الفرد عندهم من ذاته أولاً وللعقل الجماعي ثانياً وهذا العرف التنظيمي ثبته إخوان الصفا كمنهج تربوي لإعداد كادرهم وتربيته على التمسك به وفق نظرة بعيدة تتماشى تماماً وهدفهم النهائي لبناء المدينة الفاضلة التي يحلمون بها فقد جاء في إحدى توصياتهم (نشراتهم الداخلية) كما اصططلحنا عليها آنفاً:

«واعلم يا أخي بأن خير مناقب الإنسان العقل وأفضل خصاله العلم، ولكل شيء خاصة،

(١) يرم: من رم الشيء أصلحه وعالجه حتى سواه

(٢) الرسالة ٤٧- السادسة من العلوم الناموسية والشرعية- الرسائل ١٨١/٤

(٣) نفس المصدر

وخاصة العقل صحة التمييز ومعرفة الحقائق والسيرة العادلة وحسن الاختيار فانظر الآن إن كنت عاقلاً واختر من الأمور أفضلها ومن الأخلاق أجملها ومن الأعمال خيرها ومن المراتب أشرفها ومن المنافع أعملها وأدومها»^(١).

وضمن تلك التوصيات يذكرون بعضهم بعضاً بالتمسك بالنقد الذاتي البناء والذي يأخذ عندهم شكل النصيحة والتي تخضع هي الأخرى إلى مبدأ مقونن تنظيمياً ذا بُعد جماعي يهدف إلى تقويم أي خلل يحدث على التنظيم أو يظهر بمسلكية الفرد الواحد بغية معالجته وتقويمه وصلاحه، وفي شرطه الأساسي والإيديولوجي الذي اختطه (إخوان الصفا) وفرضوه كواجب تنظيمي يسعى الكل لتطبيقه وفق بعد مركزي يتطلبه التنظيم وديموقراطي يفرضه السلوك الفردي للعضو كجزء من صلاحياته وواجباته لأن معاملة (إخوان الصفا) في عشرته متطلب ذلك، بالتطبيق العملي فهم يؤكدون على هذا الجانب بالصيغة التالية:

واعلم أنه ليس من جماعة يجتمعون على المعاونة في أمر من أمور الدين والدنيا أشد نصيحة بعضهم لبعض ولا أحسن من معاملة إخوان الصفا وذلك أن كل واحد منهم يرى ويعتقد أنه لا يتم له ما يريد من إعلاء الدين إلا بمعاونة أخيه، وكل واحد منهم يريد ويحب لأخيه ما يحب ويريد لنفسه، وكذلك يكره له ما يكره لنفسه^(٢).

فتلك الشرائط التربوية كانت تحكم علاقتهم الداخلية، وتوجهها لهدف مرسوم بأبعاده السياسية والاجتماعية، التي كانت تحكمها علائق الشريعة وبالتالي فإن هذه الشرائط راحت تحدد سير علاقاتهم التنظيمية كجمعية سياسية-اجتماعية فمن يخرج عليها لا يبقى له مكان ضمن هذا الكيان أي أنه يطرد من نظام الجمعية وفق سنن الشريعة المستقاة منها إيديولوجيتهم. ووفق شروط العقل ذاته يتم محاسبة العضو الخارج على أحكام العقل وخروج الفرد هنا هو خروج على الإمام خروج على الشريعة برمتها أو بمعنى آخر شق عصا الطاعة والطاعة عندهم هي طاعة للباري التابعة لأوليائه الراشدين وخلفائه المهديين الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر^(٣) فمن يخرج عن هؤلاء فقد خرج عن المركزية في التنظيم وبالتالي فإن العقل الجماعي هو الأجدر بمحاكاته:

«فمن لم يرض بشرائط العقل وموجبات قضاياه ولم يقبل تلك الشروط التي أوصينا بها إخواننا أو خرج عنها بعد الدخول فيها فعقوبته في ذلك أن نخرج من صداقته ونتبرأ من ولايته ولا نستعين به في أمورنا، ولا نعاشره في معاملتنا ولا نكلمه في علومنا ونطوي دونه أسرارنا ونوصي بمجانبته إخواننا اقتداء بسنة الشريعة كما ندبنا إليه ربنا عز وجل لقد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله»^(٤).

(١) الرسالة ٩- وهي أيضاً التاسعة من القسم الرياضي-في الأخلاق والآداب- الرسائل ٣٠٦/١

(٢) الرسالة ٤٧- السادسة من العلوم الناموسية والشرعية- الرسائل ١٧٩/٤-١٨٠

(٣) الرسالة الجامعة ١-٦٩٢

(٤) الرسالة ٤٧- السادسة من العلوم الناموسية والشرعية- الرسائل ١٨١/٤

فهنا عقوبة الطرد تتجلى بأبعادها التنظيمية والدينية والاجتماعية والإيديولوجية. فعلى الصعيد التنظيمي خرج الجماعة عنه أي بقاءه وحيداً دون واسطة تنظيمية وغلق دونه أسرار التنظيم وسياسياً عدم الوقوف معه فيما يطرح من أفكار والتبرء من ولايته وعدم تكليفه بأي أمر من أمور الدعوة.

وعلى الصعيد الاجتماعي: عدم معاشرته في أي معاملة من معاملات الحياة الاجتماعي والتي هي أساس في كل علاقة، كالمصاهرة والنسب، وعقد النكاح وغيرها أي بتر جذوره الاجتماعية معهم.

وإيديولوجياً: عدم فتح حوار معه بأي أمر من العلوم السياسية والثقافية والفلسفية وغيرها من المعارف التي كانت سائدة في وسطهم.

ودينياً: عدم الاختلاط به وفق سنن الشريعة باعتباره خان القسم الديني بكل أبعاده الشرائعية أي كضرباً أقسم، والبعد الديني هنا، هو أقصى من كل الأمور الأنفة. لأنه قياس لدى مصداقية الإيمان ذو الأبعاد الروحية التي كانت تتسرمد في الروح لدى الملتزم لذلك أسندوا حكمهم بقانون الشريعة (القرآن) واستندوا على آياته في ذلك الحكم وبالتالي فلقد أصبح الطرفان التنظيم والعضو في مفترق الطرق ووجب الانفصال.

توصيات الحركة لأعضائها:

دأبت الحركات الثورية دائماً على تثبيت بعض النصوص كتوصيات ثابتة تصدرها كمادة قانونية في نهايات أنظمتها الداخلية ودساتيرها كأعراف تنظيمية بعد كل مؤتمر تعقده هذه الحركات.

والحقيقة أن هذه التقاليد الثورية لم تكن وليدة عصرها بل هي ممتدة بجذورها إلى تاريخ سالف ترافق وظهور الحركات الفكرية في الإسلام تلك الحركات التي استطاعت أن تترك بصماتها على التاريخ السياسي والفكري في عصور الإسلام المختلفة ومن تلك الحركات (الحركة الإسماعيلية) ذات التقاليد السياسية المتطورة وهيئة أركانها الفاعلة في المجال الفكري والتنظيمي جمعية إخوان الصفا.

فهذه الجمعية قد استطاعت أن ترسخ تقاليد الثورية على مجال تنظيماتها السياسية المختلفة واضحة نصب عينها ما يدور بالأفق الإيديولوجي في أنها، بغية التحرك على ضوئه كشرط موضوعي يسمح بها بالثبات والمقارعة مع الخصوم وقد كانت التيارات الفكرية والفلسفية ومدارسها تتفاعل معها سلباً وإيجاباً ومن هذا المنطلق كانت حركة إخوان الصفا توضح في رسائلها الأهمية الفكرية للتنظيم وضرورات الانتباه إلى الصراعات الإيديولوجية التي قد يثيرها الخصوم باعتبارها مؤكدة على أهمية الحفاظ على الرسائل والعودة إليها بين الحين والآخر

باعتبارها منهج عمل، يسير التنظيم وفقه، إضافة إلى إنها -أي الرسائل- تمثل المنهاج الفكري الفلسفي لأعضاء هذه الحركة جميعاً فعلى الجميع المحافظة عليه فبعد تصدير الرسائل كخطة تكتيكية أولى للعمل أصدرنا توصياتهم إلى كوادرهم -الدعاة- في عملهم الاستراتيجي الرسالة الجامعة بجزئيتها وختموا نهاية كل جزء بفصل يحمل معاني التوجيهات لتلك الكوادر وثبتوا فيه التعليمات التي ترتأي الحركة أنه من الواجب الالتزام بها في سياق العملية التنظيمية وهي في كل كمراحلها وتطور ملاكاتها لذلك أوصوا في نهاية الجزء الأول من الرسالة الجامعة أعضائهم بما يلي:

«اعلم أيها الأخ الفاضل انتبه لكلمة فاضل هنا، أي كادر متقدم أيده الله وإيانا بروح منه، إنما بسطنا هذه الرسائل وضمناها معاني العلوم وأسرار الحكم لتهديب أنفس الراغبين فيها، والمستجيبين لها ليدركوا الأشياء لحقائقها فتنتبه نفوسهم من الغفلة ويخرجوا من عالم الظلمة وأسر الطبيعة وبحر الهوى وقيد الألف والعادة ولم نطلق لهم الوقوف على ما في هذه الرسالة حتى يقفوا على ما بين يديها ويتهدبوا بما قبلها، ويلقنوا ما فيها بنفوس ذكية وأذان واعية ويتصورون تصور ذي البصر الصحيح بما هي عليه»^(١).

فهذا التوجيه يفرض على الأعضاء تنفيذه والعمل به بشكل دائم أي أن هذه الصيغة ضرورية البقاء بشكل دائم كتوجيه مركزي-استراتيجي لأن هذه التوجيهات وضعت للأعضاء لا لغيرهم فما الضير في تثبيتها ضمن اللوائح الداخلية للتنظيم ولم نضع هذه الكتب المضمنة أسرار الحكمة، وفوائد النعمة لأصحاب الجدل والخلاف الخارجين عن براهين الأنبياء وتاويلات كتب الحكماء.. ومعاني أسرار النواميس لأن غرضنا كله فيها الذي قصدنا إليه وذلكنا عليه هو الانقياد والاستجابة لما جاءت به الرسل والأئمة^(٢).

وهم بهذا أرادوا الالتزام بمذهبهم وفق رؤيتهم الفكرية آخذين بعين الاعتبار الخصوم الفكرين الإيديولوجي على الأعضاء الجدد، المحدودي الثقافة لأن هذه الطائفة من الأعداء لا تنفعهم النذر ولا الآيات لأن شكهم من وراء المعجزات فالبراهين عندهم لا تنجح وليس لهذه الطائفة المذمومة والفرقة الملعونة وضعنا كتبنا، ولا نحن منهم ولا هم منا في شيء وهم إخوان الكدر والشقاء أصداد إخوان الصفا وخلان الوفا وهم أصحاب إبليس وخليه ورجله^(٣) فهذا التحذير والتشديد هو مادة ثابتة في عرفهم يؤمنون بها وضعهم من الداخل والخارج فالصراع الإيديولوجي هو أخطر أنواع الصراعات وكان منتشراً في عصرهم انتشار النار في الهشيم، فليس من الحكمة خوض هذا الصراع بكوادر غير مؤهلة بعد وزجها في معمعان، لذلك من الأفضل تحصين هؤلاء الكوادر بتعليمات من هذا النوع والمضي قدماً بأعدادهم، وهو ما أخذ به (إخوان

(١) الرسالة الجامعة ٧١١/١

(٢) نفس المرجع ٧١٢/١

(٣) ذات المرجع ٧١٧/١

الصفاء) وينفس القوت كانوا يؤكدون على عدم ضياع رسالتهم الجامعة خشية أن تقع بيد الأعداء لأن أغراض هؤلاء الأعداء هو التكذيب لها، والرد بالمحال وسب واضعها وتكفير طالبها ليطفئوا نور الله بأفواههم ويعدلوا بالناس عن طريق الهدى والكمال إلى سبيل الغي والمحال^(١) ثم إنهم يهتمون ورسائله بما فيها الجامعة بوصايا هامة تعبر بصدق عن فلسفتهم السياسية والعلمية وتماشى كلياً وروح العصر الذي هم فيه موزعين بخطابين هذا إلى كل إخوانهم في أراضى الخلافة الإسلامية الالتزام بها كخاتمة مصاف يراد بها خيراً لهم ولغيرهم قائلين:

والواجب عليك يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه، أن تتقي الله سبحانه فيما ألقيناه عليك، من الكتب المصونة، والعلوم المخزونة المستخرجة من كتاب الله عز وجل المسطورة المخزونة في بيته المعمور وتعلن بها غاية العناية ولا تجهل هذه الوصايا وتلطف في استعمالها وإيصالها إلى مستحقها، بلطف الأخ الشقيق، والوالد الصديق والطبيب الرفيق، بعد بذل الواسع واستفراغ الجهد منك فيما أمرناك به وأقمناك له، وقد أدينا لك ما علمناه، ووقفناك عندما رسمناه، فاعمل عملاً يسرّك أن تراه، ولا تقل كما تقول نفس «يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين»^(٢)، وهذه الوصايا يستمدون نصوصها وفحواها من الآيات القرآنية، دالين بذلك على انتمائهم للعقيدة الإسلامية لا غيرها ومن خلالها يناضلون ووفق مقتضى أحكامها وأعلم أن ليس للإنسان إلا ما سعى وإن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى وإن إلى ربك المنتهى^(٣) ثم يستطردون بذكر كثير من الآيات الهادفة لموضوع الامتعااض خاتمين كلامهم بدعاء وأمنية «وفقك الله وإيانا، وجميع إخواننا حيثما كانوا في البلاد بمنه وفضله وجوده،^(٤) بهذا نكون قد فرغنا من النظام الداخلي لحركة إخوان الصفا معتبرين بما ورد فيها من الناحية التاريخية والسياسية.

أنا وعلى إخواني الصفا

(١) المرجع السابق ٧٢٠/١

(٢) سورة الزمراية ٥٦

(٣) الرسالة الجامعة ٤٠٥/٢-٤٠٦

(٤) سورة النجم الآيات ٣٩-٤٠-٤١-٤٢

(٥) الرسالة الجامعة ٤٠٦/٢

من أعلام البهرة



سيدنا عبد الله نجم الدين



سيدنا عبد الله نور الدين



سيدنا عبد الحسين حسام الدين



سيدنا محمد برهان الدين الدين